هلوا سينا

شهاب هاشم -هلواسينا ، رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٨/٣٣٥٦ ISBN : 978-977-798-114-2

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .

© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

هلواسينا

رواية

شهاب هاشم

اِهــداء . .

اِلى أُمــى ، هــذهِ المـرأة لــنْ تَصفهـا حـروفٍ مـن حِـبر ، تِلـكَ التـى تَسـتطيع أن تُضحـى بـكُل شـيئ مِـن أجـل فَقَـطْ آن تـرانى سـعيداً ، أراكي قِطعـةً مِـن الجنـة .

الى خطيبتـى و حبيبتـى وزوجتـي المُسـتقبلية ، أنـتِ أفضـل النِعَـم الَتـى أعطاهـا لى المـوليَ الكريـمُ ، أنـتِ شـيئاً يجِـبُ الاِحتفـاظُ بـهِ مَـدى الحيـاةُ .. « دُمتـى اِسْـتثُنائية » .

سحر .. مرض .. جريمة .. خيانة .. ظُلم

قَـدْ تتوقـف لحظـة و تمتنـع تمامـاً عـن قـراءة تِلْـكْ الاوراق التـى آمـامَكْ ، قـد لا تلتَفِـتُ لهـا مـن الأسـاس ، كيـف لَـكْ آن تُضيـعَ وقْتُـكْ فى النظـر الى مُذَكـرات شـخصية لا تَعْنـى شـيئاً سـوى أنهـا تَحْـكى حيـاة بَشْـعة لـ إنْسـانْ غـادر حيـاة البشر مُنْـذ زمن وأصبـح له حيـاهُ أُخرى تَليـقُ بـهِ و بجنونـه .. أشْـعرُ جيـداً بذَلِـكْ الفضـول الـذى يَمْلـئ عينَـاك الأن والـذى سيسـتمرُ معَـكْ اذا قـررتُ القـراءةُ ، الفضـول الـذى دائِمـاً مـا يَفْتـح أبوابـاً اذا مَـررتُ منْهـا لـا تَعـودُ أبـداً كما كُنْـتُ .. آنْـتُ الآن تـدرك جيـداً أنـك لـن تسـتفيد شَـيئاً مـن مـا سـَ تقـرأه .. (الآن فقط) لَكْنـك سَتُسـلم نَفْسـك لـ فضولك و سـ تُكمـل الأوراق ..

كان ليـل هـذا المسـاء بـارد كـ كُل ليـالي الشـتاء و كَغيـرُ عـادتى غَلَبنى النُعـاس قبـل مُنْتصـف الليـل لِأجـدُ نَفْـسى مُسْـتيقظاً عـلى صِراخ لم آسـمْعه فى البَيْـتُ مْـن قبـل ،، نَعَـمْ اِنَـه صِراخُ غـيرُ مُعتـاد مـنِ أمـى، اَسْرعـتُ لأعـرف مـا الـذى يَحْـدُثُ خـارج غُرْفتـى ، كـانَ مَشْـهَدْ يُهُـزْ الابـدان لا أَصُـدقُ مـا آراه ذَلِـكْ المِشْـهَدْ الـذى غَـير حيـاتى وجعَلهُـا قاسـية مريـرة .. كانـت أمـي عـلى الأرض عاريـة تمامـاً و آبى يَحْمـلُ

فـي يَديـه آلـه حـادة والدمـاء تسـيل مـن جَسَـد أمـى لَكْنهـا لم تفارق الحيـاهُ بعـد الى آن غـرس أبى تلـك الآلـة الحـادة فى صَدْرِهـا وماتـت .. نَعْـم اِننـى رأيـت آبي يَقْتـل أمـى بأبشـع الطـرق آمـام آعيُنـى و لَـمْ آسـتطع آن افعـل شـئً عَجـزْتُ تماماً عـن آنقـاذ أمـى ،، تصلَبْـتُ مـكانى لأشـاهد وآعيـشُ تلِـك الدقائـق الدمويـة ..

****

لا آعلـم اِذا كان هـذا الحـل آم لا لَكِننـى آعـرفُ جيـداً مـدى خطـورة الأمـر آعـرف آن اللذيـن جائـوا هُنـا مـنْ قبـلى لَـمْ يَسْـتَمرواً كَثـيراً فى الحيـاه ولَـمْ يُعُـد لهـم مكانـاً بـين البـشر ، آنـا الآن فى مـكانِ شِـبْهُ مهجـور منـذُ زمـنِ بعيـد لا آرى سـوى ضـوءً خافـت مُسـلط عـلى رَجُـلاً يَجْلـسْ بعيـداً ، آشْـعُرُ وكأننـى ذَهبْـت الى العـالم الآخـر كـما يقولـون ، اِقْتربـت آكـثر مـن هـذا الضـوء و دقـاتُ قَلبـى لا تتوقـف آحتَلَتُنـى رهبـة عارمـة عِنْدمـا آقْتربـت آكـثر مـن هـذا الرجـل اِلى آن وَقْفْـتُ امامـه .. رجـلاً قـدْ لا يكـون كبـيراً فى العُمـر ولكـن وجْهَـهُ ملـئً بالتجاعيـد جَسَـده مُنهْـك تماماً عيْنـاه تُطـل مُنهـا بريقـاً مثـل القطـط السـوداء فى الليـل تَخيـلْ معـى الآن هـذا المـكان و هـذه التفاصيـل ، مـا الـذى مـن المُفـترض آن يَحْـدُثْ !

تحَـدَثْ هـذا الرجـل الغامـض و طلـب منـى الجلـوس ثُـمْ آخْـرج مـن جيبـه عُلْبـة سـوْداء مغلقـة و وضعهـا آمامـه الأمـر الـذى لفـت آنتباهـى و لكنـى لَـمْ آهْتـم كثـيراً ، مـا آثـار آهتمامـى و فضـولى هـو

الكتـاب الـذى كان مفتوحـاً آمامـه و عينـاه مُسـلطة عليـه .. آردُتْ البحـث عـن اِسْـم الكتـاب و لكنـى لا آسـتَطيعُ آن آرى الغـلاف و بعـد لحظـاتِ قليلـة أُغلِـقُ الكتـاب و ظهـر الاِسْـم آمامـى..
(عـالم السـحر السُـفلى) تأكـدتُ آن هـذه الليلـة لَـنْ تُمـرْ بـِ سـلام قـرأت بعـض الأيـات القرأَنيـه فى ذهنـى ليقْطعُنـى الرجـل عـلى الفَـوْر و يطلـبُ منـى الاِسْـتلقاء عـلى ظَهْـرى و بالفعـل آسـتلقيْتُ عـلى ظَهْـرى فى استسـلامِ تـامْ و آغمضـتُ عَيْنـى و غـادرْتُ هـذا العـالم .. تَنبيـه هـام :: هـذه طلاسِـمْ حقيقيـة لأسـتحضار جـان العـالم السـفلى وعِنْـدُ قرائَتُهـا سَـيْحْضورن لَـكْ مـنً هُـمْ مَعْنيـين بهـذه الطلاسـم .. لـا تقرأوهـا بصـوْتِ عـالى آوْ تُرددوهـا كثـيراً و يُسْتَحْسـنُ عـدم قرأئتُهـا والاكتفـاء بالنَظـرْ فَقَـطْ و يُرجَـى الحـذر الشـديد حرِصـاً عـلى سـلامة الجميـع ..

آمسْـك الرجـل العُلبـة السـوْداء و وضـع آمـامه وعـاء به سـائِل أحْمر كثيـف لـا آعْـرف مْـن آيـن جـاء و طَلَـبْ منـى آن آغَمِضُ عيْنـاي حتى يَنْتهـى مـن مـا يَفْعلـه و بـدأ يقرأ هـذه الكَلْـمات الغـيرُ مَفْهومة

«عـعلاميش ققلاميش اجيبوا وهيجوا واجلبوا كدا الى محبة كدا بحق ما اقسمت به عليكم ومن يعصى هته الاسماء صار قتيلا وتنزل عليه الملائكة بالشهاب المحرق اجيبوا واسرعة ا ببرهان الاجابة الوحا العجل الساعة»

سرداب الجان أحط عام بجحم فواج آجيوا سمائسة آعن شام وادن بحق الحاكم جان
لَمْ آسْتمر كثيراً فى سماع الكلمات لأنى فقَدتُ الوعىْ تماماً ..

****

النهايات السعيدة لا تحْدُث إلا فى الأفلام فالنهاية الحقيقية تَعْنى اِنتهاء كُل شئً كان يُسْعِدكْ ..
علي : الاجتماع بعد ساعة ونور لسة مشرفش أنا مش عارف ماله متغير الأيام دى ليه و بقاله كتير على كدة
عُمر: آكيد نايم ولا تلاقيه ناسى ماهو بقى خلاص بينسى كل حاجة ومبقاش مركز فـ الشغل زى الأول .

دَخْل عَلَيْهِم المُدير العام والغضب يسيطر عليه .. حد يتصل بـ نور شوفوه فين خلينا نخلص من التصميمات دى الشغل المفروض هيتسلم بكرة ، ليُفاجأ بـ « نور» آمامه مُتحدثاً اليه .

أنا موجود من بدرى بس كنت فى قسم الإداريات بسلم الشيكات اللى هتدفع والتصميمات قدامها أقل من ساعة وتكون على مكتبك ، تقدر ترتاح ومتقلقش .. آنهى نور الحديث بابتسامة خفيفة مليئة بالثقة ثُمْ دخل المدير الى مكتبه وذهب نور الى آصدقائه فى العمل ..
ماتيجوا نسهر فى أى مكان بالليل آنا مخنوق عايز آغير جو

عُمـر :: مـاشى معنديـش مشـكلة شـوف عـلى ظروفـه ايـه عشـان بيخـاف يتأخـر لمراتـه تزعقلـه
على :: لا يا حبيبى مبيحصلش ،، معاكوا ياعم نور

****

عُـدْتُ الى المنْـزِلُ متأخـراً لِأجـدْ آخْتـى « ناديـة» فى آنْتظـارى والقَلَـقُ يتطايـر مـن عيْنيهـا وتبـدأ فى الحديـثً الـذى كُنْـتُ آخطـط للهـروب منـه آثنـاء عَـودتى ..
ـ ايه اللي حصل يا نور
ـ كانـت ليلـة صعبـة يـا ناديـة عشـت وشـفت حجـات غريبـة مرعبـة غالبـاً مسـتفدتش حاجـة بالعكـس الكوابيـس بتطـارد خيـالى فـ كل لحظـة ، خايـف انـام خايـف اشـوف حاجـة تانيـة أنـا تعبـت اوى بجـد أنـا بعيـش واقـع محـدش بيعيشـه غـيرى
قامـت « نادية»مـن مكانهـا و جلسـت بِـ جانبـى تواسـينى و تَطْلُـبُ مِنـى الصمـود و الثبـات
ـ قولتلـك مـش هـو ده الحـل انـت كـدة بتـزود مخاطـر عـلى نفسـك مـش هتقـدر تسـتحمل عواقـب تانيـة انـت مـش قدهـا ، بـلاش تدخـل نفسـك فى عـالم محـدش دخلـه و رجـع سـليم اكيـد الـلى انـت فيـه لي حلـول تانيـة ، آصـبر يـا نـور .

تَرَكْتُهـا مُبتسـماً و ذَهَبْـتُ الى غُرفتـى جَلسْـتُ عـلى الفـراش سـاكناً

مُتصلباً وكأننى آنْتظر شيئاً ما سيَحْدُثْ ، غَلَبُنى التعب والإرهاق وأُغْمِضَتْ عَيْناىْ و خَلدُتُ الى النوْم لتبدأ رحلة الأحلام الغير سعيدة ..

استيْقظتُ صباحاً بفزعٍ شديد من ما رآيته فى منامى لقد عِشْتُ كابوساً مُخيفاً للغاية .. كان ذلك الرجل الذى ذهبْتُ له جالساً على كُرسيهُ و آمامه قِطة سوداء يقوم بذبحها والدماء تُغرق المكان ثمْ آتى له شخصاً يُشبه البشر الى حدِاً كبير ولكنه قصيراً نوْعاً ما بشرته سوداء و عيْناه تُشْعُ بريقاً مُخيفاً ، آخذ الشخص بعضاً من اعضاء القطة المذبوحة وآقترب منى لينْتهى الكابوس على ذلك .. جلَسْتُ أُفَكِرُ بتعمق و تمَعُنْ " أنا لَسْتُ مسحوراً آو مَمْسوساً ما كُنْتُ آراهُ و يَحْدُثْ لى قبل ذهابى لهذا الرجل لم يَكْن يدُل على آى آنواع من السحر آو المس و ما شبه كيف لى آن آذهَبُ لساحر و آنا لا آعانى من آى آعراضاً للسحر آو المس ! كنت آعيشُ و آرى آحداثاً غريبة ليس لها صِلةُ بالواقع لم يَكُن يراها آحداً غيرى كان الجميع يُكذب كُل ما كُنْتُ آحكيه حتى آصبَحْتُ آمتَنع عن الحديث الكارثة الأن آصبحت آضخم ، فأنا آعانى من كوابيس مرعبة و بعض الأعراض التى تدل على الَمسُ الجنى الى آي وقْتاً سأصْمد متى سَتنْتهى حياتى ! ،،

قررتُ الذهاب الى شيخاً آزهرياً ذو قامة كبيرة ويعلم فى هذه الأمور فآنا آريد آن أُشفى من تلك الكوابيس وبعد ذلك آفكر فى حلولاً آخرى لما يحدُث لى ، حدَدتُ معَهُ ميعاد و ذهبت اليه فى

مكتبه وبالفعل كان عنده العلاج و طريقة الشفاء ، حَكَيْتُ له كل شئً بالتفاصيل من البداية و حديثه لي كان كالآتى ..

بص باأبنى وانتبه كويس لكلامى أولاً آحنا مؤمنين وعارفين كويس ان الجن والسحر مذكورين فى القرأن الكريم بس مش معنى كدة ان أي حاجة مش متوقعة هتحصلنا نرميها على الجن والكلام ده مش كل حدث غريب أو غامض هتعيشه معناه ان انت معمولك سحر والعياذُباللـه ، مجرد انك تفتح لنفسك الباب للتفكير ده هيتعبك أكتر ما اِنت تعبان ، بالنسبة للنوبات والكوابيس اللى بتجيلك وانت نايم فى دى ليها أسباب ، أولها انك روحت لساحر بدون أي داعى يخليك تروح .. مرواحك للمكان وروؤيتك للراجل ده زرعو جواك خوف و قلق ، لما روحت و قعدت وقرأ الطلاسم الجن حضر عليك ولَكن ملبسَكش بدليل ان انت قاعد قدامى والقرأن شغال وانت مش متضرر من سماعه خليك دايماً عارف ومتيقن ان الجن مبيقربش لبنى آدم إلا لو كان اقتحم عالمه وانت كل اللى عملته انك روحت لواحد قرأ طلاسم عليك لإبطال سحر هو اصلاً مش موجود هسألك سؤال.. انت لو قاعد دلوقتى فى بيتك و فـ حالك و معاك صحابك و فجأة دخل عليكم حرامى هتعمله ايه هتضربوه وهتأذوه ، نفس الكلام انت لما تقتحم عالم الجن هتتأذي وربنا يابنى أقوي من كل شئ . عود الي صوابك و أتَبِعْ طريق الحق و ربنا هيسرلك الحال ..

انْهي حديثه وقرأ بعض الآيات القرأنيه ثمْ آعطانى كتاباً اسلامياً به بعض التفسيرات و الأذكار طلب منى آن آقرأ كل يوَماً جزءً قبل النوم وآكد لي آن كل شئً سَيْنتَهى قريباً ..

مرَتْ الأيام كعادتِها و نَسَيْتُ ما حَدثْ فى تِلْكْ الليلة وما تابعها لَكِنى لَمْ آصل بعد الي الافتراض الصحيح نَعمْ نَسيْتُ ما حدث فى تلك الليلة المريرة لَكنى لم آنسي ما يَحْدُث معى الى هذه الساعة لَمْ أُشْفى من مَرَضْ آنا لا آعَرِفَهْ فى الاساس ، كُنْتُ ومازِلْتُ آرْفضْ الذهاب الى طبيب ليس لخوفى من آن يقال عَليْ مريضاً أو مَجنونا آنا لا آريد آن آجلس مع آحد يرى آن الذى يتحدث معه مريض آتى للعلاج ..

آشْعُر الآن بسُخريتك من هذا السبب الغير مفهوم لَكِنكِ سَتُدرك جَيداً ما آقوله فى النهاية و حينها سـ تتوقف لحظات عن القراءة وسَتَشْعُر أنك مَريضاً مِثْلى تَماماً .

****

الواقع دائماً يُميل الى الكذب فالكثيرُ مِنْا
لا يُصَدِقُ الحقيقة لِأنها لَيْسَتْ واقعية ..

الساعة الواحدة بعد مُنْتَصَفُ اللَيْلِ ، الهدوء يُخَيِمْ على آجواء المكان آنغَمر الجميع فى النوم مُبكراً و لَم يَعُدْ هُناك صَوْتاً فى هذا الحى البعيد عن وسط المدينة ، السماء مليئة بالسُحب و البرد القارص يتطاير مع الهواء من لحظاتِ لأخرى هَكذا هو الشِتاء .. تناوَلْتُ فنجان القهوة و جلستُ آشاهدُ التِلفاز و لَمْ تَمُر ثوانِ ليعلو صوت الهاتف و يقتحم ذَلك الهدوء ، انه « علي « ماذا يُريد فى هذا التوقيت ..

- الو يا علي مالك فى ايه

ـ مالى ايه يا نور آنت قايلى اكلمك أصحيك عشان تنزل الشركة تخلص شُغل الايفنت بتاع يوم الخميس قبل مستر «مُنتصر» ما يجى الصبح والمفروض حضرتك كنت نايم عشان تصحى و تنزل و تطبق لحد بكرة

ـ اه اه كويس انك فكرتنى أنا كنت ناسى خالص

ـ طيب يا سيدى أي خدمة ، روح بقا لعمك ابراهيم خد منه المُفتاح قبل ما يسلم الوردية لـ عاصم عشان الراجل ده رخم و أنا عارفك مبتحبوش

ـ طيب ماشى سلام ..

آرتَديْتُ ملابسى الثقيلة اخَذْتُ حقيبَتى و رَكِبْتُ سيارتى مُتجهاً الى مَقر الشَرِكة الذى يَبعُد عن المَنزل بنِصف ساعة تقريباً ، وَصْلتُ سريعاً و بدأت فى اِنهاء التصميمات الخاصة لسلسلة

الاعلانات الجديدة للشركة بالمُناسبة آنا مُهَندس ديكور آعمل فى آحدي الشَركات الكُبرى للدعاية و الاِعلان ، آعلم أِننى قد نَسيت آن آعرفَكِ بنفسى و لَكِنى لا آري ذَلك ضرورياً ، يَكْفيكَ آن تَعْرف اِسمى فَقط (نور) تذكره جيداً ..

آثناء آنشغالى بالعَمل وكتابة بعض التقارير لفتَ أِنتباهى شَئً ما يبدو غريباً ..
نَهضتُ من مكانى سريعاً و مَشيتُ بعض الخُطوات حتى وقَفتْ مُتصلباً آرى هذا المَشهد الغامض
المُدير المالي للشَرِكة استاذ محروس واقفاً مع أحد الأشخاص يتحدث معه بصوتاِ خافتا لَكِنى سَمَعت بعضاً من مُختطفات الحديث .
قال محروس فى حذرِا
مش قولتلك الحكاية سهلة و بسيطة بس كان لازم يجى الوقت المُناسب مش هوصيك بقى أسبوع واحد بس آكتر من كدة بره عنى أي حاجة ممكن تحصلك ياريت منتكلمش لحد ما يجى المعاد المحدد
ثُم يُعطيه بعض الملفات الخاصة بالشركة ويرحلا سوياً فى هدوء..

ظَللت آفكر فيما رأيت لماذا جاء المُدير المالى فى هذا الوقت المُتأخر ومن الذى كان معه وما نوعية هذه الملفات التى آخذها هذا الرجل ، كُنتْ في حيرة شديدة اِستمرت الى الصباح

الباكر هل آخبر الأمن و العاملين عن ما حدث هل أُفصح عن هذه الفضيحة -- !

بعد ساعات من التفكير الشديد قررت آن لا آتحدث عن شئً وفرضتُ حُسنْ النية لحينِ اِشعاراً آخر ، آشْعُر وكأن هذه لن تُكن المرة الاخيرة التى آرى فيها آمراً مثل ذلك لا آخفى عليك بالفعل كُنتْ آنتظر آن يَحدُث ما يؤكد لى تورط و ادانة الطرفين حتى آبلغ رئيس الشركة و بهذا آكون فعلت الصواب من دون آن آظلم أحد و آنتظَرت كثيرا الى آن جائَت تلك الليلة ..

٣١ديسمبر .. صلَيْتُ الفَجْرْ لأول مَرةُ مُنذْ مُدة لَيْسَتْ بالقصيرة ثُمَ خَلدتُ الى النَومْ و بَدأت الكوابيس تُطاردنى هذه المرة لَمْ تَكُنْ مُجرد آحلام مُفزعة من نسيج الخيال بل كانتْ تُمثل حدثاً عَشْتَه مُنذ أياماً قليلة .. لقَدْ رأيتْ ذَلِكَ الرَجُلْ الذى كان مع المدير المالى للشركة فى تِلك الليلة المَشئومة ، سأوصفُ لَكَ ما حَدثْ بالتفصيل رُبما تُلاحظ شئً يَصلْ بكِ لبداية الطريق الذى أُريدُ مِنكَ آن تسلَكه ..

لقَدْ كان هذا الرجل يتحَدُثْ معى فى آمراً ما ثمُ طلب منى الذهاب الى احدى الفنادق لكى أُقابل آمرأة و آقنعها بهذا الأمر ، كُنْتُ اِستمع لكلامة باِستفاضة كبيرة .. ذَهبت لِأقابل هذه المرأة ليلاً و كُنتْ مُضطرباً بعض الشئً لا أعلم لماذا ، اِنتظرتها حتى آتَتْ و بمُجرد وصولها نظَرتُ الى المكان من حَوْلى لَمْ آجِدُ شَخصاً لأبقى أنا و هي بمُفردنا و دار الحديث كالأتى ..

مكنتش متخيلة انك هتوافق بالسهولة دى بس تصدق شكلك احلى بكتير من الصور الى بشوفها ثُمْ توقفت قليلاً عن الكلام و نظرت لى بتمعن شديد لتُكمل ..
بص سيبك بقى من الكلام ده و قولى طلباتكوا عشان منضيعش وقتنا ..

اِسْتيقظتُ من نَوْمى وانا لا أفهم شئً لَكنى كُنتْ آظن ان الحكاية لن تنتهى عِندْ هذا الحد هُنلك شَئً ما يَنْتظرنى ..

****

اِسْتَفَقْتُ باكِراً على غَيْرِ عادَتى جَلسْتُ آمامَ التِلفازُ وبدأت فى التنَقُلْ من محَطةُ الى أُخرى مُنذُ فَتْرَةِ لَمْ أعتادُ على هذا المَلَلْ الصباحى ، آغْلَقتُ التلفاز وصِرتُ آنْظُر الى أركان المَنْزِل المُهمَلة التى تُشبهنى كَثيراً ،، صَوْتُ الساعة الحائطية مُستفزا نَوْعاً ما لَكِنى تعَوَدتُ عليه فَهْوَ مِثْلْ الكَثير مِنْ الأشْياءِ لا تُزعِجَكْ إلا اذا اِنتبَهتُ لها .. فجأة دقُ جرس الباب ليَقْطع كُل هذا الصَمْتُ فى لَحْظةِ ، تكاسَلْتُ فى البداية لَكنْ صَوْتُ الجَرسُ المُستمر آجْبَرُنى على النهوض ، فتَحتُ لِأجدُها آمامى و خُصيلاتُ شَعرها تتطايرُ يَميناً و يساراً ..
مرَتُ لحظاتِ من الارتباك الشديد ثُمْ قالت بنبرةُ هادئة
ـ صباح الخير ، لو سمحت ممكن تجيبلى الفستان الى وقع فى بلكونتك .

ـ ـ حاضر
ـ شُكراً ، أنا جارتك مريم ساكنة فى الدور العلوى
ـ ـ وانا نور فُرصة سعيدة
ـ بس أنا مشفتكش قبل كدة

شَعُرتُ بشئً من الفضول يَطُل من عَيْناها فتمايلتُ برأسى قليلاً..
ـ ـ جيت هنا عشان أشوف قرايبي وهمشي بعد كام يوم ، تأمرينى بأى حاجة تانى !
ـ مُتشكرة جداً ، سلام .

نَعَمْ لقَدْ كُنْتُ عَنيفاً فى حَديثى معُها بعض الشَئً ، آغْلَقْتُ الباب ثُمَ وَقِفْتُ لـِ لحظاتِ اتذكَرُ بريقُ جمالها .. اِنها فاتِنة للغاية

****

أنْتُ لَيْسَ بِاِمْكانَكَ تَغييرُ الواقع
لكِنَكَ قادراً آنْ تَتَجاهَلهُ ..!

ذهـابى للعمـل هـذا اليـوم لـمْ يَكـنْ كـ كل يوم فـ ما حَـدَثْ لَـمْ آكُنْ اتخيَلـهُ لَحظْـة آنْ يَحْدُثْ .

قطـراتِ مـن الدمـاء تملـئ المـكان آصـوات مـن الضجيـج لا تتوقـف ورجـال الشرطـة يسـتفسرون ويحققـون مـع الجميـع والبعـض الآخـر مـن الطـبُ الشرعـى يفحـص الدمـاء المُجلطـة عـلى الأرض .. كُنْـتُ اقـفُ واُشـاهِدُ المَشْـهُدْ لكنـى مازِلْـتُ لا افْهُـمْ شـئً حتـى جـاءَ آحَـدْ الفراشـين و نـزلَ عـليْ كـالصاعقة .. اسـتاذ نـور البقـاء للـه آسـتاذ صـلاح منتـصر تعيـش آنـت ، لاقـوه مقتـول الفجـر و زى مانـت شـايف رجـال الشرطـة مُسـتمرين فى البحْـثْ ، اللـه يرحمـه ويصـبر اسرتـه .

أُتفهَمُهـا جيـداً تلِـكْ النَظْـرة التـى تنْظُرهـا الآن ، أُدْرِكُ جيـداً الافـكار التـى تضُـجْ فى عقلـكْ أعلـم تمامـاً ايْـن ذهـب خيالـك لكِننـى عـلى يقينـاَ تامـاً آن كل هـذه الاشـياءْ سَـتُجْبِرُكْ عـلى الاِسـتمرار فى القـرأة .. أُريـدُ مْنـكَ ان تطـمأنْ كل مـا ظَنَنتـه ليـس صحيحـاً اننـى لا اقـصُ لك فيلـماً عربيـاً لـكى تقـول آن الحلـم لم يَكُـنْ حِلـماً و انى كُنْـتُ آعمـل مـع هـؤلاء المافيـا وأنـا الـذى آرتكبـتُ جريمـة القتـل ... الـخ !
لا تستنتِجُ النهاية مُبكراً فـ لَسْتُ آنـا القاتِلْ ..

رحـل الفـرّاش لكِـنَ افْكـارى لَـمْ ترحـل معـه اسـتمريتُ فى الوقـوف حتـى آتى دَورى فى التحقيـق ، جـاء النقيـب سـامح وطلـب مِنـى

آن أذهـبَ معَـهُ الى غُرفـة التحقيـق لـكى يسـتمتعُ لشـهادتى التـى كانـتُ مُختلفـة عـن الجميـع .. جلسْـنا سـوياً و بـدأ فى الحديـث الـذى إسـتمر حـوالى نصِـفُ سـاعة وبضعـة دقائـق ..

ـ انـت كنـت مـن النـاس القريبـة لـ صـلاح منتصر الـلى عرفتـه ان الراجـل ده كان يُحبـك و يحترمـك وبيُعامِلُـكْ بطريقـة خاصـة ، صـح الـكلام ده ؟

ـ ـ اعتقـد صـح لإنى كُنْـتُ دايمـاً آحـد أسـباب نجـاح وتطـور الشركـة بالاَخـصْ فى قِسـمْ الدعايـة والاعـلان و كان دايمـاً يتشـكرنى عـلي مجهـوداتى ويُعجـب جـدا بأفـكارى المُتميـزة مـش هكـدب واقـول انها كانـت علاقـة آب وإبنـه هـو بـس كان يُميـزنى عـن بقيـة العاملـين.. آشعلْ سيجارةُ ثمْ آكملْ حديثه

ـ مـن ٤ ايـام جيـت الشركـة فى سـاعة مُتأخـرة معرفـش سـبب مجيئـك فى الوقـت ده لكـن عاصـم رجـل الأمـن بيقـول آن علامـاتُ الارتبـاك ظهـرتُ عليـكُ لمـا شـفته وسـألته عـن عـلي زميلـك بعديـن مشـيت علطـول ، الغريـب فى الأمـر ان عاصـم قـالَ أنـك خرجـتُ مـع عـلي بعـد الشـغل وروحتـه مـع بعـض .. فـسرلى الـلى حصـل ومتحاولـش تكـدب !؟

انْدهَشـتُ كثـيراً لمـا يقولـه ، كُنْـتُ فى حـيرة شـديدة احـكى لـه عـما شـاهدُتُ فى تلـك الليلـة أم فقـط اكتفـى بالانـكار وأؤكـد لـه ان هـذا الـكلام غـير صحيـح ..

انفعلتُ نوعاً ما أثناء الحديث :
-الـلى بتقولـه ملـوش أي أسـاس مـن الصحـة ، أنـا جيـت هُنـا فى سـاعة متأخـرة ودخَلـتُ الشركـة لإنجـاز بعـض الاعـمال الخاصـة والـلي كانـت المفـروض تخلـص بـدري لكنـى اتأخـرتُ وكان ميعـاد تسـليمها الصبـح عشـان كـدة كُنـت هُنـا قبـل الفجـر لكنـى مشـفتش عاصـم ومكلتمـوش فـى حاجـة اما عـلي فهـو الـلى فكرنى بـميعاد التسـليم عشـان كـدة جيـت علطـول بعـد مكالمـة هاتفيـة منـه وتقـدر تسـأله بنفسـك عشـان تتأكـد ..

لم يمـضى كثـيراً ودخـل علينـا ظابـط آخـر لكنـه يبـدو اقـل فى الرتبـة، قـام المقـدم سـامح مسرعـاً وخرجـا سـوياً ثـم جـاء بعـد لحظـات ليخـبرنى ان كل شـيئاً آنتهـى وان بامـكانى المغـادرة . .
انفجرت غضباً عارماً

- ازاى تخلـق اكاذيـب و توجـه ليـا اصابـع الاتهـام و فى الآخـر تقـولى كل حاجـة انتهـت !! شـفت انى كنـت عـلى حـق ! دلوقتـى اتأكـدت أنـك كنـت بتقـول أي كلام ، احسـنتُ يـا حـضرت الظابـط ،

اشـار الى الظابـط الصغـير ليرحـل ثـمُ اغلـق البـاب و نظـر اِلِيْ باهتـمام شـديد أثـار انتباهـى قبـل ان يجلـس و يشـعل سـيجارته
ـ غالبـاً كـدة كُنـتُ منتظـر مـا يؤكـد لـك كلامـك الوهمـى ، لمـا بينتلك الأدلـة الـلى بتكـدب كلامـك.. عينـك ارتبكـت وبـدأ تفكيرك فى الشـك ،

اعتقد انك كنت محتاج تثبت لنفسك حاجة معينة ، متستغربش أنا درست علم نفس واعرف كويس أحلل الانفعالات المفاجئة اللى ظهرت عليك من شوية ..

نهضَ من مقعدهُ ثمْ اقترب من اذنى قليلاً ..
ـ قبضوه على المجرمين ودى أسرع قضية انتهيت منها ، هقولهالك مرة تانية ، انت مقولتش الحقيقة
هتجمعنا قعدة تانية بعيداً عن القتل والجرائم ، الى اللقاء يا صديقى ..
لا أعلم من أين آتى هذا الرجل بكل هذه الثقة آنه كان على دراية كاملة بما يحدثُ بداخلى وكأنه يرافِقُنى مُنْذَ زمن ، عَمْ السكون لـ لحظاتِ فى ارجاء المكان ، كنتُ لا أفكر حينها إلا فى علي هو مَنْ سيُدلنى على اليقين ، انصرفتُ من الشركة متجهاً الى منزل علي نظرت بعيداً قبل ان آفتحُ باب سيارتى وجدتُ المُقدم سامح يتحدث مع زملاءه ثمْ نظر تجاهى بأبتسامة زادت الشك بداخلى ..

****

حين أدْرَكْ آن الحُبُ قَدْ يتغَير بَعْدَ الزواج كانَ تغَير بالفِعْلْ ..

أثناء الحديث المتبادل بين رجال المباحث اهتزْ هاتفهُ داخل جيبهُ الأمر الذى جَعَلَ علامات الغضب تظهر فى ملامِحهُ ، اخذ نفَسَهُ العميق قبل آنْ يَرُدْ

ـ عايزة ايه يا حبيبتى ؟

ـ ـ عايزة ايه ! آنت غايب عن البيت بقالك يومين تقريباً ومقولتليش انت فين و بتعمل ايه

امتعض على اسنانه قليلاً قبل ان يُجيبَها بهدوء

ـ ايوة صح بس انتى عارفة انى ظابط فى المباحث و وشغلى مالوش اوقات محددة ، امبارح جالنا خبر عن جريمة قتل فى شركة كبيرة مقدرتش آجى البيت واضطريت انى افضل هنا ونسيت ابلغك

ـ ـ نَسَيْتُ! ، تمام تمام ! اعمل اللى انت عايزه يا سامح

ثُم آغلَقَتْ الهاتِف بغضبْ عارِمْ .

هزَ رأسه يميناً و يساراً ثمْ أبتسَمْ قليلاً كنوعاً من اللامبالاه اليائسة قبل ان يقول لزملائه : أعتقد آنه حان الوقت لكى نتذوق الطعام فدعونا نَذهَب الى مَطعَم شهى يُعَوِضنا قليلاً عن الساعات الماضيه المُرهِقة ..

أخذْ يُفكر فيما مَضى و يسترجِعُ بذاكرتهُ كل ما قضاهُ معُها من لحظاتِ ، ظل يتحدث الى نفسه أثناء الطريق . كيف وصلت بِهم الأمور الى هذا المُنعطف ، متي سيعود كل شيئاً لطبيعَتهُ ، مَنْ المُخطئ الذى جعلنا نصل الى ما نَحنُ عليه ! مَنْ الذى بإمكانهُ

آن يُضحى من آجل الآخر ، لماذا من الاساس تَغير كُلْ شئً ؟ هل ظروف العمل هى الَتى تسببتُ فى كل ذلك ؟ لا أرى ذلك مُبرراً حقيقياً بل آراهُ ماهو إلا السبب الاوحد الظاهر لنا ، فى النهاية ظروف عملى ليستْ من المُفترضْ آنْ تتسَبب فى اِخماد مشاعرى, لَمْ آعُدْ آشعُر بذَلكَ الاِشْتياقُ الذى كان يُغمرنى اذا غابَتْ عَنْى يومان ! لماذا لم آعد آرى اِبتسامتها التى كانت تنطلق حين ترانى, حتى خَصيلاتِ شَعُرها لم تَعدْ تُشكِلها كما آحب ..

****

تفاجئ علي من هذه الزِيارة المباغتة لكِنَهُ كان يَعلَمْ السبب الذى آوصلنى اِلى هُنا ، رحبَ بى و تناولنا فِنجان القَهْوَةُ ثُمْ بدأت فى الحديثُ

ـ المُقدم سامح قال لي آنى مجتش الشركة فجر الخميس اللى فات و قال كمان أنك مكلمتنيش قبلها عشان تفكرنى وكمان بيقول انى جيت متأخر اليَومْ ده ولما شافنى عصام اتوترت وآدعيتُ آنَى بسأل عَلَيْكَ اذا روحت أو لا ، ايه رأيك فى الكلام ده ؟ و ازاى عصام يقول حجات محصلتش !

صَمْتَ على قليلاً ثُمْ تحدثْ بنبرةْ هادئةُ تُنبأ على آنْ ما سيقولهُ ليسُ سَهْلاً علِيْ تَقبُلهُ لَكْنى قطعتهُ مُبكراً وطلَبْتُ منهُ آنْ يُصارِحنى حتى آفهمْ وآشعُر بقليلاً منْ الراحة ثُمْ هيئتُ نفسى لاِستقبال كلماتهُ ..

ـ ـ من فترة مش قصيرة و انت فى حالة مش مستقرة ، بنُلاحظْ

عليكَ آنا والزُملاء بعض الأمور الغريبة ، بقيت غامض ومنعزل وكتير بتقول حجات محصلتش ، بتألف حجات كتير من خيالك على انها حقيقة والى حصل أخيراً خير دليل على اللي بقوله ، فى اليوم الى بتتكلم عنه خرجنا من الشَرِكةُ مع بعض ثُم قُولْت لي وقتُها أنك مُرهق وعايز تنام فروحنا لبيوتنا ومفيش أي حاجة حصلت تانى ..

ـ هل ده طبيعى ؟

ـ ـ برأيي أنك لازم تروح لدكتور تشرحله الى بيحصلك وهو الى بإمكانه يفهمك

ـ مش محتاج اروح لدكتور دلوقتى .. شُكراً يا علي

ـ ـ آتمنىُ انى اكون ريحتك

ـ سلام .

عُدتُ الى المنْزل فى حُزْنِ لم يآتينى من قبل آحتَلنى شُعوراً تائهاً مَضطرباً ، ما الذى يَحْدُثْ لي هل كلُ ما مررتُ بهُ مُسبقاً ليْسَ حقيقياً آمْ اِنهُمْ يُكذبونَ ! لا اننى لسْتُ مريضاً ، هُناك شيئاً ما خطأ ..

حاوِلُ آن تَضعُ نفسكُ مكانى ماذا ستفعلْ و كيفَ يُمكِنكَ الوصول الى الحقيقة ، هل ستستسلمُ و تُعلْنُ امام نفسك أنك مريضاً هل ستقتنع بكلمةُ مرض آم سَيْسكُنْ ذهِنُك الجنون ولا غيرهِ !أرجوك لا تَسْتهْلكُ تفكيرُك مبَكِراً فى آمور لن تُفيدكْ ، نحن مازِلنا فى البدايات كُل ما علَيْكُ آن تُكمل ما تقرأه ثُمْ فى النهاية لكُ مُطلق

الحريـة فى الحُكـمُ هـذا اذا تمكَنْـتُ ..

نزلـتُ مـن البيـتُ مْـرةُ أُخـرى و طلبـتُ مـن ناديـة أُختـى آن تـأتى لى فى المـكان الـذى كُنـا نجلِـسُ فيـه دائمـاً ، كانـتُ حديقـة صغـيرة تبعُـدْ عـن منـزلى بشـارعين ، اخبَرْتُهـا آننـى آريـدُ آن آتحـدثُ معهـا ضروريـاً فوافقـت عـلى الفـور وذهبـتُ آنـا وجلسـتُ فى آنتظارهـا و لمْ تمُـر سِـوىَ عـشرةُ دقائُـق واذا بهـا تـأتى ..
اِبتسمت كعادتهُا وبدأت اللقاء بنوعاً من السُخرية ..

ـ اهـلاً وسـهلاً بحضرتـكُ ،، دايمـا انـت مبتكلمنيـش إلا لمـا تكـون عايـز منـى حاجـة ، اتفضـل يـلا ومتضيعليـش وقتـى ..
تبادلنـا المـزاح لـ لحظـاتِ ثُـمْ طلبـتُ مِنهـا آن تسـمعنى جيـداً لأنى منـذُ زَمْـنُ لَـمْ تأتينـى مثـل هـذه الحيرةْ و القلـق .

بـدأتُ فى سَرْدُ الاحـداث مـن البدايـة الى النهايـة ولاحِظْـتُ علامـات التعَجُـب عـلى وجـهُ ناديـة لم آظـنُ حينهـا آنهـا سـ تُصـدقُ بسـهُوله لَكنـى أقنْعتهـا آن مـا سردتـهُ مـن آحـداثْ قـدُ تَـمْ بالفعـل ،، شـخصاً آخـر لـو كان اِسـتمع لمـا قولتـه لـكانْ اعتقـدَ اننـى اتعاطـى مـواد مُخـدرة جعلتنـى هكـذا آو اننـى آصيبـتُ بالجنـون لذلِـك كُنـتُ حريصـاً عـلى آن يكـون الشـخص الـذى سـأقصُ عليـه ماحـدثُ هـى ناديـة .
اِندهشـت ناديـة كثـيراً فى البدايـة لَكنهـا تداركـت سريعـاً وصـارتُ

تتبـادل معـى الحديـث حتـى نَجـد تفسـيراً واضحـاً لمـا حـدثَ
ـ فى البدايـة خلينـا نتفـق عـلى شـوية حجـات أساسـية عشـان نعـرف ننظـم آفكارنـا ،
اولاً الـلى بيحصلـك ده مـش مـن وحـي خيالـك بمعنـى انـك مـش بيتهيألـك ، ثانيـاً لازم تتقبـل الأمـور كأنهـا عاديـة وتاخـد بالأسـباب وآخـيراً لازم تـروح لـدكتور عشـان نطمـن ..

نظرتُ لها بيأسَ ولم أُجيبُ ثُمْ آكملت هِىَ ..

ـ نـور أرجـوك متكابـرش آنـت مـش مجـبر تسـتحمل كل الـلي بيحصلـك ..
آراحتهـا بعـض الشـئ لـكى تذهـب و آظـل بمفـردى و بالفعـل رحلـت و بقيـت آنـا آفكـر فيـما سـأفعل ، كان الفجـر أقـترب أذانـه و الاشـجار تتطايـر اوراقهـا مـن الهـواء الشـديد و الهـدوءُ السـاكن يُحـرك افـكارى لتؤلمنـى ، أسـتمر الوضـع حـوالى نصـف سـاعة ثُـم عـدتُ الى المنـزل حاملاً قـرار لم آكُـن آتوقعـهُ يومـاً ..
~ سوف آذهب الى سـاحر أو بالمعنى الدارج سأذهب الى * دجال *

****

عـلي مـا آظُـن أنـك بـدأتُ تتفهـم سـير الاحـداثُ بـلُ و أزْعُـمْ آن عينـاكَ لا تلْتَفِـتُ بعيـداً عَـنْ كَلِـماتى ، فِي البدايـةْ تعَمَـدتُ اِثـارَةُ فضولَـكَ لـكى تقـرأ و تُكمـل مـا تقـرأه و أعتقـد الآن اننـي نجَحْـتُ

فيما كُنْتُ آخطِطُ لهُ ، لقَدْ كُنتُ مُثيراً في كلماتي غامضاً في أُسلوبي .. لنْ آطْلُبَ مِنكَ شيئاً آخر ، اذا أردْتُ آن تَحْرقُ تلك الاوراق و تُلقيها بعيداً تأكد انني لسْتُ منزعجاً ، واذا قررتُ آن تتركها ثُمْ تعود لاحقاً و تُكملها فلا مُشكلةُ في ذَلِكَ ،، افعل ما شِئْتُ يا سَيْدى .. لَكِننى أشعُر برغبَتُكَ المُلحةُ التي تدفعُكَ للقراءةُ ،، اليسَ كذَلِكَ .!

اذِا دعنا نُكملُ ما بدأناه ..

عادَ سامح الي المَنْزِل مُتأخراً كعادتهِ يَحْمِلُ في داخِلَهُ ثِقلاً من اللامُبالاه ممزوجةُ بِبَعضاً منْ اليأس المُفرط ليُفاجاً بزَوجتَهُ أمامهُ و الغَضبُ يسيطر على ملامِحها ، هُنا تأكدُ آن هذه الليلة لن تَمرُ بِسلامْ ..

ـ يااااه اخيراً جيت !

ـ ـ لا لسة مجتش

ـ ممكن أعرف هتبطل البرود اللى انت فيه ده امتى و هتبقي عاقل كدة و تتكلم بجد زي الناس

تَمشي سامح مُتمهلاً ثُمْ خلعَ ساعتهُ وألقي قَميصه بعيداً ثُم جلسْ علي الاريكة فى هدوءُ تام لا يُناسب طبقات صَوْتَها المُتعالية اطلاقاً والتى كانت ترتفع بصراخُ مُزعجْ كُلما زاد صَمتِه حتى نَظر لها أخيراً بنوعاً من الانتباه ، الأمر الذي جعلها تخفف قليلاً من ضجيجها وتبدأ في طرح أسئلة قاسية وكأنها تَقذفهُ بأسهمُ عنيفة..

ـ سامح أنت اتجوزتنى ليه ؟؟
ابتسَـمْ» سـامح « اِبتسـامةُ خفيفـةُ تحَمـلُ كل الحـزن والملـل الـذي صاحبـهُ طـوال هـذه السـنواتْ القليلـة مـن الـزواج ليَقـذفُ هـو الآخر سـهامهُ البـاردة القاسـيةْ في معانيهـا ،
ـ ـ اتجوزتك عشان أنام معاكى

لقـدْ كانْ هـذا الـرَد كافيـاً للقضـاءِ عـلي كُلِ مَوْجـاتِ الغَضـب المُتصاعـدة ..
جلسـت هـي الاخـرى تنْظـر لـه بإندهـاش شـديد ليُشْـعِل هُـو سـيجارتهُ المُعتـادة و تبـدأ «سـهر» ..
ـ يـا راجـل حتـى ده مبقـاش يحصـل حتـى شـهوة السرير الـلى كانـت الحاجـة الوحيـدة الـلي بتجمعنـا مبقتـش بتجمعنـا وكأنـك نسـيت انـك راجـل و متجـوز ، فاكـر اخـر مـرة حضنتنـى كانـت امتـي ؟ طـب بـلاش دى ، فاكـر اخـر مـرة لمسـت فيهـا جسـمى كانـت امتـى؟ تصـدق أنـا اصـلاً مـش فاكـرة ،،
ـ ـ مممممـم ، برافـو عليـكى يـا حببتـي كلمتـين جامديـن اوى يخلـو أي حـد يتأثـر ويحـس انـه ظـالم أنـانى ،، تمـام تمـام انتـي معـاكي حـق مفيـش كلام بـس لـو تسـمحيلى ممكـن أشـاركك دور الضحيـة العظيم ده بمـا اننـا هنبـدأ نرمـي اتهامـات لبعـض وأهـو بالمـرة تسـمعى منـي كلمتـين حلويـن كـدة زي بتوعـك ،، فاكـرة حضرتـك آخـر مـرة عملتيـلي أي أكلـة بحبهـا كانـت امتـي !
طيب فاكرة اخر مرة قولتيلى فيها وحشتنى !

فاكرة اخر مرة قولتيلى تعالى نعمل أي حاجة مختلفة كانت امتي ؟ فاكرة اخر مرة لبستي فيها (بيبي دول) كانت امتي؟ انتي متناقدة وبتكدبى على نفسك وبتعيشي في الوهم ،، كل تصرفاتك بتقول حجات تانية عكس كلامك ،، أنا مش ملاك على فكرة ولو كنت مقصر أو مهمل أو حتى اتغيرت فـ ده مش بسببي لوحدي.. انتهي سامح من ذَلِكَ الحديثُ المؤلمُ وارتدى قميصهُ سريعاً ثمْ اتجه نحو الباب وقبل ان يغادر نظر لها بتمَعُنْ وكأنه لا يريد آن تنتهى تِلك الليلة بدون أي مزْحةُ و لو بسيطةُ ، قال بِسخرية ـ ـ ايه الايسدال اللى انتى لبساه ده ! لاحنا ف شتاء ولا فـ جامع! ثُمْ غادَر ..

رنَ هاتفهُ ليقطع خيوطُ افكاره ، آمسك الهاتف وجدهُ رقَمْ غير مُسجل من دون تفكير قرر آن يرُد ..

ـ الو مين ؟

ـ ـ أنا نور بتاع شكرة الدعاية اللى كنت بتحقق معاه فى جريمة القتل بتاعت صلاح منتصر ايه مش فاكرنى !

ـ ايوة ايوة افتكرتك ،، بس القضية خلصت من زمان ايه اللى فكرك بيا

ـ ـ معرفش بالظبط ايه اللي فكرنى بيك دلوقتى بس كل اللى اعرفه ان في كلام كتير كان محشور جوايا مكنش ينفع يطلع ساعة القضية والا كنت اتهمتنى بالقتل أو بالجنون .. خلينا نتقابل وانا هحكيلك كل حاجة بالتفصيل

ـ طيب أنا رايح دلوقتى كافيه Friends اللي فـ ميدان سفير لو وقتك يسمح أنا مستنيك

ـ ـ تمام ٥ دقايق و ابقي عندك

لا أعلَمُ لماذا أنا بهذا الحرص على مُقابلة هذا الشَخصُ و في هذه الفِترة بالاخص و لم أكُن اتوقع أن تتَم بهذه السهولة و في هذا الوَقْتُ المُتأخر فالساعة الآن قرابةُ الثانية ليلاً ، قَدْ أكونَ مُتشَوِقاً لِمُقابَلةُ هذا الرجل لأنهُ كانَ شاهداً على أحد أهمُ الاحداثُ التى مررتُ بها و دفعَتُنى للذهاب الى ساحر ثُمَ شَيخ ومِنْ ثُمْ أدرَكْتُ اَننى مُصاباً بـِ مرضاً لا اعرف عنه شيئاً ،، في البداية لم آكُن مُتقبلاً لهذه الفكرة ولكنَنى كُنتُ آيقِنُ بالمرض, دائماً ما كانَ تفكيرى يَرْفُضُ لفرضُ التهيؤات أو ما شبه ذَلِكُ ومازِلْتُ أتساءل في داخِلي ـ أي مَرَضٌ هذا اِنْ لَمْ يُكُنْ تهيؤاتِ !! ثِمةُ اشياءَ دارت فى ذهنى أثناء الطريق الى اَن وَصلْتُ و بدأت الجلسة ..

تبادلنا الترحاب للحظات قليلة ثُمَ اِقتحَمتُ سُبُل الحديثُ قائِلاً

ـ مبدئياً و قبل أي حاجة لازم تعرف اني مليش أي غرض من اللي هقوله و لازم بردو تعرف ان كل اللي هقوله صح حتى لو مكنش حقيقي ، كنت قولت ف اقوالى ان روحت الشركة بليل قبل الحادث بيومين و انت اتهمتنى بالكذب و الفراش نفي كلامى و ساعتها أنا مردتش اطول فى الكلام و كنتوا خلاص قبضتوا على الجاني فكلامى مكنش هيفيد بحاجة ساعتها غير انى ممكن كنت هبقي ف نظرك مجنون فكنت مقرر انى محكيلكش غير بعد ما

القضيـة تمـوت و يجـي الوقـت المُناسـب

شَـعُرتُ آن نظـرات سـامح لا تلتَفِـتُ بعيـداً عَنـي فـكان شـديداً الانتبـاه لمـا أقـول وهـذا مـا جَعلَنـى اتحـدثُ بِاسـتفاضة دونَ أي حّـذر ـ يعنـى انـتَ مُكنتـش عايـز تحـكى وقتهـا عشـان متبقـاش ف نظـرى مجنـون أو القضيـة متتقلبـش عليـك طـب ماأنـت ممكـن لمـا تحـكى دلوقتـى القضيـة ترجـع تتفتـح تـانى و تخـش دايـرة الاتهـام !

ـ متضيعـش وقتنـا وخلينـى احكيلـك عـن الـلي حصـل في اليـوم ده وانـت هتفهـم لوحـدك أنـا عايـز ايـه ،، قبـل الحـادث بحـوالى يومـين كنـت قاعـد فى البيـت و فجـأة عـلي كلمنـى لاقيتـه بيقـولى يـلا روح الشركـة عشـان تخلـص شـغلك قبـل معـاد التسـليم الصبـح و سـاعتها أنـا كنـت نـاسى و هـو الـلي فكـرنى و فعـلاً خـدت عربيتـى و روحـت الشركـة كانـت السـاعة ٢ أو ٣ مـش فاكـر بـس الـلي فاكـره كويـس ان الفـراش الـلي قابلنـى مكنـش عاصـم ده كان واحـد تـانى اسـمه ابراهيـم المهـم دخلـت و قعـدت فى مكتبـى و بـدأت فى الشـغل ثـم بعـد شـوية لاحظـت حركـة غريبـة فى المـكان فبـدأت انتبـه شـوية ، قمـت اشـوف فيـه ايـه و فعـلاً كانـت حاجـة غريبـة عليـا ،، شُـفت محـروس المديـر المـالى للشركـة خـارج مـن مكتـب صـلاح منتـصر ومعـاه ملفـات و بعيـدن لاقيـت واحـد مسـتنيه و« محـروس» قالـه : كل حاجـة سـهلة و بسـيطة مـش قولتلـك وطلـب انهـم ميتكلمـوش أو يتقابلـو لحـد الميعـاد المحـدد وبعيـدن خرجـوا ! أنا معرفتـش اعمل ايـه اقـول واعمـل فضيحـة ولا اسـكت واشـوف ايـه الـلي هيحصـل ،

أنـا كنـت حاسـس اني هشـوف حاجـة تـانى معرفـش ايـه هـي بـس كنـت عـارف ان الحكايـة مـش هتنتهـى لحـد كـدة ، المشـكلة كـمان انـك بعـد مـا حققـت معايـا وكدبتنـى أنـا روحـت لـ عـلي وأكـدلي كلامـك وقـال انـه مكلمنيـش ليلتهـا ولا أي حاجـة حصلـت

هُنا قاطعنى سامح بتسرع ثُمْ اشعَلَ سيجارتهُ فى هدوءٍ تامِ
وجدتـهُ مُنتبهـاً بشـدة عـلى وجهِـهِ علامـاتٌ مِـنَ التعَجُـب و الحـيرة ، صَمـتَ قليـلاً ثُـمْ قـال ::
ـ ـ بـص اولاً محـروس بـرئ ومفيـش عليـه أي شُـبهة اتهـام دى حاجـة، الحاجـة التانيـة ان عـلي ذات نفسـه قـال عكـس كلامـك و ده معنـاه ان لانـا ولا عـلي ممكـن نكـون بنحـور عليـك مثـلاً ، انـت عـارف انـك لـو روحـت لـ ابراهيـم بـردو هيقـول كلام عكـس الـلى بتقولـه ، أمـا بقـي موضـوع النـاس الـلي شـوفتها دي و الـلى انـت حاكيتـه فـ ده ملـوش غـير تفسـير واحـد وهـو ان خيالك واسـع شـوية و محتـاج دكتـور و ده مـش تقليـلاً منـك بـس دى الحقيقـة

لقـد آزعجنـى حديثـهُ نوعـاً مـا لَكنـى اصريـتُ عـلى مـا آتيـتُ مـن اجلـهِ آردتُ آن تكـون المحاولـة الاخـير لِاثبـاتِ أي شـيئاً يَنفـى كُل مـا اِسـتمَعتَ لـه

ـ ماهـو أنـا قبـل مـاروح لدكتـور محتـاج منـك حاجـة أخـيرة يمكـن تأكـد كلامـى ، أنـا عايـز اقابـل المُتهـم عايـز اشـوفه مـرة واحـدة بـس

مـن بعيـد عايـز اتأكـد هـو الـلى كان مـع محـروس ولا لأ ، صدقنـى هـو ده طـوق النجـاه الفاضـل ليـا ، بـلاش ترفـض ارجـوك
وافـق سـامح سريعـاً كـما لم اتوقـع اطلاقـاً لكَنـهُ وَفَـر عـلَيّ الكثـير والكثـير
ـ ماشى موافـق ، هكلمـك بكـرة بعـد العـصر اكـون خلصـت تصريح الزيـارة و الاجـراءات ،، ثُـم رَحَـل ..

****

الحُبُ كالمَوْتِ لا يستأذِنُ آحدَ قَبْلَ آنْ يأتى

أحبَبْتُها في وَقْتِا لَمْ آكُن فيهِ بحاجة الى الحُب آحبَبْتُها وأنا غَيْرُ مُدْرِكُ لأىَ شَئَ ، عَقْلِكَ مُنشَغلِ الآن وافكارَكَ تَتَساءل مَنْ هذه التى أرغَمَتْنى على الحُب فى تِلكَ الظروف المريرة ، يكفينى آن آقولَ لكَ لو رأيتُها مرَةُ واحدة في حياتُكَ و استطعتُ مُلامَسةُ يَدَيها للحظاتِ قليلة سَتُدفِنُ نفسَكْ حياً لو لَمْ تستَحوِذُ عليها للابد ، لَسْتُ مُبالغاً اِطلاقاً فأنا آحاوِل آن أُبرزُ الحقيقة
لَيسَت هي إلا ملاكاً مُتجَسِداً في أُنثىَ كانَ البَحرُ يَخجَلُ آنْ يُزعِجُها بأمواجهِ ، كانت مُذْهِلةٌ فقَد (كانت) ! .

وَقفتُ الأم تُراقِبُ شرود اِبنَتُها في صَمتِ تامِ ثُمَ جَلسَتُ بجانِبها و تمايلتُ برأسها يميناً ويساراً كنوعاً من اليأس و عدم الجدوىَ ثُم قالت :
ـ يابنتى هتفضلي كاتمة في نفسك و مقهورة لحد امتى انسيه بقي و متحاوليش تكلميه لما يرجع يكلمك تانى ، مفيش حب فى الدنيا يخلى الواحد يغيب عن حبيبته بالشهر بعدين يرجعلها ولا كأن حصل حاجة
ـ ـ مش فاهمة بس هو ليه بيعمل كدة مش فاهمة أي حاجة في حياته بس متأكدة انه بيحبنى وللاسف أنا كمان حبيته ، تخيلى يا ماما ان بقالنا ٦ شهور معرفش أي حاجة عنه غير ان اسمه نور و شغال فى القاهرة متقابلناش غير ٣ مرات تقريباً و عمري ماقدرت اكلمه عـ الموبايل يومين ورا بعض
ـ مش هو المفروض مديكى ميعاد بكرة الساعة ٢ علي حسب

انـك رايحـة لخالتـك فى القاهـرة

ـ اه

ـ هتروحى ؟

صمَتَتْ « مَريَـم» قليـلاً و تسـاءَلْت بكبريـاءِ مُصطَنَـع هـل أذهـب أم لابـد أن أتخلـص منـه ؟ لم تطـول كثـيراً فى التفكـير و اسـتجابَتْ لقَلْبهـا سريعـاً فقالـت :

ـ هروح يا أمى و هتكلم معاه و هحاول افهمه أكتر .

تركتهـا الأُم و هـى حزينـةُ عـلى اِبنَتهُـا الَتـى تـاهَتْ فى حُـبِ رَجُـلاً مُبهَـمْ غـيرُ مُطـمأن و تمَنَـتْ دومـاً آن تراهـا سـعيدة راضيـة كأى أم فى الدُنيـا

****

رمسيس - الثالِثة ظهراً يَومِ الخَميس:

وَقِفـتْ آنتظِرُهـا أمـام محَطـة القطـار فى أجـواء شـديدة الازدحـام بالرغـم مـن اِنى لا اهـوى مِثـل هـذه الاجـواء إلا اِننـى كُنـتُ حريصـاً عـلى اِسـتقبالها ، لَـنْ آوصـف لـكَ هـذا المـكان فى هـذه السـاعة مـن الوقـت أعتقـد أنـك تعَلـمْ جيـداً بشـاعةُ المَشـهد ، انتظـرتُ خمسـة عـشرُ دقيقـة حتـى جائَـتْ حاملـة حقيبـة صغـيرة عـلى كَتفيهـا, تصَلبـت فى مكانهـا عندمـا رأتُنـى فهـى لم تَكُـنْ تتوقـع معرفتـى بميعـاد وَصولهـا ..

باغِتُها فوراً بالحديث قائلاً :
ـ حمدلله على سلامتك ، وحشتينى
رُسِمَتْ على شفاتَيْها اِبتسامة نسيَتُنى مرارةُ الانتظار والازدحام
ـ ـ وانت وحشتنى

امسَكتُ بيدِيْها و اتجهنا سَوياً الى طريق الكورنيش فى وسَطُ البلد, جلسنا فى مكانِ هادِئاً يُطُل على النيل ثُمُ بدأتُ فى النظر اليها بتمَعُن شديدُ لِأننى عاشِقاً لعيناها فقد كانتُ فاتِنةُ كَعادَتُها و كُنتُ غارِقاً في تفاصيلُ ملامِحُها كعادَتى ..

مِن دونَ أي مُقدمات باغتتنى بالحديثُ بنبرةِ صوت مُمتَلئةُ بالضغب
ـ نور أنا مش فاهمة أي حاجة في علاقتنا دى مش فهماك مش عارفة ليه بتغيب عنى بالاسابيع بعدين بترجع مش فاهمة أي حاجة في حياتك
ـ ـ محتاجة تعرفي و تفهمى ايه أكتر من انى بحبك بجد
رَدَت هَذِهِ المَرَةُ بِصلابة بالغة و قالت بأنفعال ::

ـ ماهو ده مش كفاية ، فى حجات كتير أهم ، الحب مش كلمة و خلاص أنا لازم ابقى مطمنة و مش خايفة و عارفة انى لما احتاجلك هلاقيك كل دى حجات ممكن تكون بسيطة بس كافية انها تأكدلى حُبك نور أنا مش شايفة أي ملامح لمستقبلنا

فى داخِلى كُنتُ أعلم انَ مَعُها كامِلُ الحَقِ لَكِنى لا أدرى لماذا لَمْ آظْهِرُ ذَلِكُ امامها ! هل لأن الرَجُل فى مُجتَمعُنا يَخْجَلُ اَنْ يَعْتَرِفُ بالخطأ و التقصير !

ـ ـ اوعدك ان كُل حاجة هتبقى احسن و قريب هكلم مامتك عشان نتخطب و تبقى عروسة زى القمر بقي ، معلش استحملينى الفترة دى و خلاص كله هيعدى

اِبتَسمَتُ ابتسامة رضاء لَكِنها كانَتُ تَطْمَحُ فى اشياءً اعْمَقُ بكثيرِ من ذَلِكَ الروتين الَذى يَنْتَظر الحُبُ فى نهاية العلاقة *

****

كانَتُ الِشَمْسُ قَدْ أعْلَنَتُ رِحلَةُ غروبها عَنْ السماءُ و القَمَرُ لايزال خافتاً وسطُ الغيومُ و اضواء المراكب بدأت تنعكس على مياه النيل فالقاهرة مازالت تحتفظُ بجمالها الخلاب ، الجمال الذي لا تراهُ إلا فى هذا المكان و فى هذه الساعة فقط ، حَلَ الصَمْتُ قليلاً فهى كانت شارِدةُ الى منظرُ النيل و الاجواء المحيطة بهِ بينما آنا شارِداً غارِقاً فى عيناها ، اِنقطع الصَمتُ مرةُ آخرى لَكِنَ هذه المرةُ من هاتفى وليس مِن احدِنا ، رَنَ الهاتف و يبدو آن سامح آنجز سريعاً و آحضر تصاريح الزيارة ، بِمجرد آن رنَ الهاتف و عيناها لا تُفارقنى و كأنها تُريدُ آن تَعرفُ آي شئً . مِنْ دونَ أي مُقدمات قال سامح :

ـ أنا جهزت كل حاجة تقدر تقابلنى بكرة الساعة ٤ فى الكافية بتاع المرة اللى فاتت عشان نروح أه و ياريت محدش يعرف اللى

بيحصل بيننا وده عشانك مش عشانى
-- تمام مفهوم

لَمْ آكُنُ آرغب فى هذه المكالمة الآن خاصةُ وإننى لا أُحبُ آن تُلاحِظُ عَلَيِ آيُ مظاهر من التوتر آو القلق ، أنا ايضاً لا أريدُ آن يَنشَغِلُ تفكيرى عنها ، فَوْرَ آنْ آنتَهَيْتُ وجدتها تسألنى و تسفسر
ـ مين اللى كان بيكلمك
-- ده واحد صاحبى كان متفق معايا نتقابل بكرة وبيكلمنى يأكد عليا
ـ مممم حتى فـ دى حاسة انى مش فهماك ، ملامح وشك بعد المكالمة متأكدش خالص اللى انت بتقوله
قاطعْتُها آنا هذه المرة
-- مريم خلى فى ثقة شوية بيننا لحد ماييجى الوقت المُناسب و تفهمى اللى انت عايزه تفهميه آنا مش مزيف اوى زى مانتى فاكرة كل الحكاية انى حابب احتفظ بحجات كتير لفترة معينة بعد كدة صدقينى هتعرفينى و تفهمينى أكتر من نفسى بس اصبرى ..
قالت فى هدوء :
ـ حاضر ، ثم غادرنا و اتجهنا الى مَنْزل خالتها حيثُ كانت تَنوى زيارتها و البقاء عِنْدها حتى مساء اليوم التالى ، بدأ ضجيج أفكارى يؤلمنى فور عودتى الى منزلى ثِمةُ تساؤلات لا تفارقنى شعورى آن غداً هو اليوم الفارِقُ الذى سيغير المسار و سيُعلنُ

انـنـى مريضـاً ، مـا الـذى ينتظـرنى هُنـاك اللـه أعلَـمْ ، اعـرفُ آنـه آمـلاً ضعيفـاً للغايـة و قـد لا يُجـدى شـيئاً لكنـه يظَـلُ آمـلاً
لـن أُطيـلَ علَيـكَ كثـيراً كـما عاهدْتُـكَ مِـنَ البدايـة و دعنـا نـسردُ مـا حـدثٌ لِانْ القـادمُ آعتَقِـدُ آنـه الاكـثر اثـارة فى حيـاتى ~

****

الِانسـان لَـنْ يُصْدقُ الحقيقة
إن كان الكَذِبُ على هواهُ

اِستيْقَظْتُ قَبْلَ الميعاد بِساعة ، نهَضتُ من الفراش و توجَهتُ للاِستحمام آنتهيتُ سريعاً و ارتديتُ ملابسى وجلَسْتُ قليلاً قبل ان اغادر ، لَمْ يَمضى كثيراً من الوَقتْ و اذ بالهاتف يَهْتَز نظرْتُ اليه لاِجد مريم قد تركت لى رسالة عبر < الواتس آب >

ـ أنا نزلت و رايحة اركب القطر ، بشكرك على اليوم الحلو بتاع امبارح كنت واحشنى اوى ، نفسى تفضل قدامى وابقي شايفاك كدة ومبسوط ،، خد بالك من نفسك ومتغبش عنى ..

اِبتسَمتُ ابتسامة تلقائية بمجرد آن أنتَهَيْتُ من القراءة ثُمْ اخذتُ آغراضى و نزلتُ من المَنْزِل ، وَصَلتُ الى المكان في الميعاد المحدد ، جلستُ فى اِنتظاره لَمْ تَمُر خمسةُ دقائقُ و وجدتهُ امامى يَطْلُب منى آن آنهضُ لِكى نَذْهب السِجن ، تركتُ سيارَتىُ فى موقع الانتظار و ركبتَ معه سيارتهُ حسَبَ رغبته واثناءِ الطريق كنْا نتحدثْ قليلاً فى اموراً عدة و عندما اقتربنا من الوصول كان قد طَلبَ مِنى الآتى :

ـ هتشوف الراجل من بعيد مش هتقعد معاه ولا هتكلمه و متحاولش تقرب من المكان اللى قاعدين فيه ولا تلفت انتباه أي حد ليك ، آنت داخل معايا كأنك ظابط صغير ، المتهم هييجي من الزنزانة هيقعد قدامى خمس دقايق و بعدين هيرجع تانى تقدر تبصله و تتأكد زى مانت عايز المهم متنساش اللى اتفقنا عليه

ـ ـ متقلقش مش هيحصل أي حاجة

نزلنا سَوياً من السيارة و مشَينا نَحوْ الباب الحديدى الضَخْم الذى كان على جانبيه بعضاً من العساكر و الكلاب البوليصية ، كان المَشهَدْ آقْرَبُ الى حِلمِ فأنا لم أتخيل ولو لِـ وَهْلَةٌ آن آقف في هذا المكان ، كَمْ من مظلوماً خلف هذه الاسوار ؟ كَمْ مِنْ ظالماً هُنا تحت رعاية القانون ؟ آيُ شعورِا ذلك الذى آحتَلنى حينَ تخطَيتُ هذا البابِ و اقتَربتُ اكثر من التفاصيل ، شَعُرتُ آنني اِتجهتُ الى عالم الظلامِ و الظلوماتِ ، كانت عيناى تلتفلتُ يميناً و يساراً فى فضولِا شديد مصحوبِ ببعض الخوف المُبهم استمَريتُ فى النظر الى كُل من حَوْلى حتى وصَلنا لغرفةٌ متسعة المساحة على اطرافها مقاعد من الخشب رائِحتهاً أقرب الى القبور ، وقِفتُ آنا بَعيداً كما طُلِبَ مِنى و هو جَلسَ ينتظر المُتهم ، كنتُ كَـ مريض بينَ الحياة و المَوت مرَت تِلك اللحظات بثُقلاً و ترقب الى ان آتى اخيراً و جلس آمام سامح ..

تثَمَرْتُ فى موقعى سانِداً ظهرى على الجدران آحاوِلُ اَنْ اسْتَرجِعُ بذاكرِتي ذَلِكَ اليَوْمُ المشؤوم و بدأت نظراتُ سامح تتَجِهُ ناحيتى فأراد على الفَور معرفةُ ما يحْدُثْ لي وَقْتُها و استمرَ معه فى الحديثُ و نظراتهُ تخترقُنى من حينَ الى الآخر فقَدْ تصَلَبْتُ تماماً فى مكانى لا اَدرِكُ أي شيئاً من حَوْلى غارقاً فى بحورِ من الحيرةُ ، لَنْ آتلاعب بِكَ كثيراً وسأُنجز هذا السَردُ الذى قد لايكون مُفيداً لَكِ

< ليسَ هُوَ الرَجُل الذى رأيتهُ فى ذَلِكَ اليوم معَ محروس >

لَـنْ اَوصْـفُ لَـكِ شـعورِ اليـأس و موجـاتُ الحُـزْنُ التـى آتتنـى فى تِلـكَ اللحظـة فلقـدُ شـعُرتُ آننـى مَسـجوناً آسـيراً مثـل هـؤلاء النـاس المتواجديـن هُنـا لا آحُـبُ آن آكـونَ مُثـيراً للشَـفَقةُ آمامـك ولَـنْ آطيلَ علَيْـكَ آكـثر فأنـتَ تعلـمُ جيـداً ماالـذي يُمْكـنِ آن يَحـدُثَ لى حينَهـا

آنتَهـى سـامِح وغادرنـا سـوياً الى السـيارة مِـنَ دون آن ينطِـقُ احدُنـا بـكَلِمة حتـى تحركنـا بالسـيارة الى المـكان المُفَضـلُ الـذى يَجلـسُ بِـهِ سـامح دومـاً ، بقينـا طـوال الطريـقُ فى صمـتٍ حتـى وصَلنـا ، اشـعَلَ سـيجارتهُ فى هـدوءِ كعادتـهُ و بـدأ فى الحديـثُ ..

ـ هتعمـل ايـه دلوقتـى اظـن كـدة مفيـش حاجـة تـانى فاضلـة عشـان تصـدق أنـك لازم تـروح لدكتـور ، معرفـش أنـا ازاى طاوعتـك ونفذتلك الـلى انـت عايـزه بـس كنـت حابـب أسـاعدك وخـلاص معرفـش ليـه بـردو ، أنـا عـارف دكتـور آمـراض نفسـية وعصبيـة كبـير ومشـهور ممكـن اكلمهولـك تروحلـه هـو يبقـي خالـك مـراتى و ماهيصـدق يخدمنـى

ـ ـ أنـا مقـدر الـلى انـت عملتـه وبشـكرك جـداً ، مـش عـارف ازاى هقـدر اعيـش وفى احتـمال ان أي حاجـة هشـوفها ممكـن متبقـاش حقيقـة واللـه أعلـم الموضـوع هيوصـل لحـد فـين ، أنـا مـش عايـز اتعبـك معايـا أكـتر مـن كـدة ، شـكراً مـرة تانيـة

آصَرَ سـامح آن يُسـاعدنى مـرةَ أُخـرى و تـرَك لى الرقـم الخـاص بالطبيـب ثُـمْ اسـتأذن سريعـاً لأن اِجتـماعُ فى مُديريـة الأمـن ، و

بقَيْتُ آنا بِمُفردى أُفكرُ فيما هُوَ قادِمْ لامحاله أن القادم آصعَبُ و آمَرُ وانا على أتَمْ اِستعداد ، أثناء شرودى كان المكان اِزْدَحَم بالناس و الفساتين القصيرة كَثُرَتُ من حَوْلى والاصواتُ الخافِتةُ بدأت تعلو الأمر الذي آنسانى قليلاً مُعاناتى و جعلنى آنتبه لما يحدُثُ فالاجواءُ فى الساعة الثامنة تختَلِفُ تماماً عن مُنتَصِفُ الليل ، استمر الوضع لبعضة لحظات ثُم قررت الرحيل وذهبت الى المنزل و غرقتُ فى نَوْماً لِم آستَفيقُ منِهِ إلا فى ظُهرَ اليَوم التالى مقرراً ان الموعد الي سيجمعنى بالطبيب لَنْ يتأخر سوى يومان على الأقل .

أُدرِكُ اِننى آرهقتُكَ مَعى و اِستنفزْتُ طاقاتكُ الذهنية و البصرية لِكنِ الأمور لَمْ تَنْتَهى عِند ذَلِكَ الحد فمازال للحديثُ بَقية وعلَيْكَ مِن الآن الترقب و الانتباه الشديد لأن القادم أكثر اِثارة بالنسبة لك و آكثَرُ آلماً بالنسبة لي فأدعوك آن تتفرغ قليلاً لتلك الاوراق حتى تنتهى سريعاً مِنى و مِن كُلَ شَيء و آرجو آن تستمتعُ بما هُو قادِم ،، الأن دَعْنا نُكْمِلُ ما بدأناهُ

****

السُحُبُ تدَفَقتُ أعلي السماءُ ، النجومِ أوشَكَت على الظهورِ القَمَرِ يَبحَثُ السطوعِ وسِطِ الغيومِ و البَحْرِ يَضُخُ بأمواجهِ الَتى تَتَحدى السكونِ و البَشَرُ قليلون فى الطرُقات ، هكذا هيَ الإسكَندَرية فى فَصل الشتاءِ ..

وَقِفتُ فى شُرفة مِنزلى أتأمل كافة التفاصيل مِن حَوْلى لا آجِدُ آحَداً سِوىَ بَعْضُ السيارات الَتى تَمُرُ بَيْنَ الحينِ و الآخَر و آرىَ من بَعيدُ بَعَضَ الرِجالِ المُتَسَرْسِبون مِنَ الكازينو الليلى الذى يَقعُ فى الجِهَةُ الأُخرى من الطريق ، كانَ البَعض يُغادِرُ وحيداً بِمُفرَدِه و البَعضِ الآخر يُرافِقْهُنَ النساءِ اللواتي يُصعَب علَيْهِن قضاءِ اللَيلة لِآخرِهُا مِنْ دونَ مالِ آو جِنس !

كُلها آشياءِ تَدعو الي الإنتباه حتى لو لَمْ تَكُنْ كَثيرةُ فإنها مُلفتة للنَظَرُ ، صوَبتُ عَينى قليلاً الى البَحْرِ الذي يُمكننى الإطلاعُ على شاطئِهِ بوضوحِ تامِ ، اِسْتَمَرَتُ لحظاتِ لَمْ تَطُل و وجَدتُ اِمْرأةُ تَرْتَدى عباءةِ سَوْداءِ تَسيرُ نَحوَ البَحْرِ فى خُطْوةِ سَريعة جعلَتُنى آنتَبِهُ لها آكثر الى آن وصَلَت الى بداية الشاطئُ و اصبح لا يفصلها عَنِ البحر سوى خطوة واحدة ، ما هذا الذى يَحدُثُ هُناك ! على الارجحُ آنَنى آشْهَدُ مُحاولة اِنتحار آمام آعيُنى لم آستَطعُ حينها سِوى النداء على المارة القليلون فى الطريق لَكِن لا أعلم لماذا تتجاهل الناس صَوْتى وكأننى غَيرِ موجود بالمرة ، تحركتُ سريعاً و نزلْتُ من البَيت لإنقاذ ما يُمكن انقاذه ، آستغرقتُ من الوقتِ دقيقتانِ حتى آصبحتُ أُلامسِ المياه و تِلكَ المرأة تَخطوه

آمامـى مُتحديـة الأمـواج التـى تُعطـل قليـلاً مـن حركتهـا بـدأت فى النـداءِ علَيهـا
ـ يـا آنسـة ، يـا مـدام ، اسـتهدي باللـه وارجعـى طـب أقفـى مكانـك أنـا هاجـى اطلعـك
لَـكنها لَمْ تَرُدُ

أصبـح ليـسَ بِامـكانى سِـوىَ آن آتبعهـا و امنعهـا عـن مـا تفعـل ، نزعـتُ بنطـالى حتـى لا يُضايقنـى و انغمـرتُ فى العَـوم و كُنـتُ قـد تعلمـت السـباحة مُنـذ سـنوات ، كُلـما آقتربـت منهـا آراهـا ابتعـدت ظـل الوضـع هكـذا حتـى صـارت قَدمـي عائمـة لا تلامـس الأرض و البرد كان قـد اِشـتدت آقـصي درجاتـهِ ، شَـعُرتُ بصعوبـة فى التنفـس و عـدم قُـدرة عـلى الحركـة فى ظـل هـذه البرودة القارصـة

يبدو اِننى سأموتَ لاحِقاً ..

****

٨ شـارع الحجـاز الـدور التاسـع ، مركـز عيـادات الامـراض النفسـية و العصبيـة

دكتور « حسن عبدالعزيز»

عيـادة شاسـعة المِسـاحة مُنسـقة ومُجهـزة بأعـلي المُسـتويات مُمَرضينهـا و عامليهـا يَمْلَئـونَ كافـة أنحائهـا ، لا تسـتمعُ هُنـا لأى نوعـاً مـن الضوْضـاء فالـكُلُ يَعْمَـلُ فى صَمْـتِ ولا تَـرىَ آحَـداً يَرفَـعَ صَوْتِـهِ

آو يُصْـدِرُ آفعـالاً خارجـة ، الديكـور الخـاص بالمـكان يُشـعركَ أنـك انعزلـتُ عـن العـالم الخارجـى كيـفَ لا واحـد آشـهر أطبـاء الأمـراض النفسـية يتواجـد هُنـا . .

لَـمْ أكُـنْ أتخيَـلُ لَحْظـةِ آن آجْلِـسُ عـلي هـذا المَقعـدُ وسَـطُ هـؤلاءِ المَـرضى مُنتظـراً دَوْرى فى الدخـول ، لقـدَ اِحتوتُنـى نوبـاتِ مـن القشـعرينة فى تِلـكَ اللحظـة وحينهـا اِكتَفَيْـتُ فقـط بالنظـرات الى اعينهـم بنوعـاً مـن الفضـول الـذى جعلنـى آريـدُ معرفـة مـرض كُلاً منهـم لـكنى لـمْ اجِـدُ سَـبيلاً سِـوىَ النظـر لهم فأنـا الآن مِثْلهـم تماماً، اِنتظـرتُ دَورى فى الدخـول حتـى آتى و كانـت العيـادة قـد قاربـت عـلى الاخـلاء مـما جعلهـا اكـثر هـدوءً وكلـما كان الوقـتِ يقـترب كانـت خيـوطِ التوتـر تـزداد تشـابُكاً بداخـلى الى آن دخلـتُ غُرفـة الكشـف وبـدأت آولى الجلسـات ..

بـدأ هـو بالترحـاب وتنـاول بعـض الأمـور السريعـة قبـل آن نغـوص فى سـياق الموضـوع

ـ انـت متـوصى عليـك جامـد مـن سـامح وده نـادراً لمـا بيطلـب منـي حاجـة فعشـان كـدة اخرتـك شـوية عشـان نعـرف نقعـد نـدردش براحتنـا ، عايـزك ترتـاح خالـص عـلى الشـيزلونج وتعتـبرنى مـش دكتـور ولا اعـرف أي حاجـة عـن الطـب

قام من مقعده لاحضار فنجان القهوة ثُم عاد سريعاً وقال

ـ متسـتغربش أنـا بحـب اعمـل الحجـات دى بنفـسى ، يـلا اتكلـم أنـا

بسمعك

لَم اعرف من اين ابدأ فَكُنتُ استَمعُ لحديثه فى صمتِ تام أتأمل تفاصيلِ هيئَتِه فقد كان هذا الرجل طويلُ القامة ممتلئ البدن نسبياً خُصيلاتِ الشَعْرُ الأبيض تظهر فى رأسهِ يبدو آنه قضي سنواتِ عِدة فى هذا المجال وانا حالة مرضية من آلاف الحالات التى مرت عليه ، آراحتُ جسدى كما طَلَب ثُم بدأت فى السردُ وكان يستمعُ لى بِانتباه لم آراهُ مِن قبل

ـ ببساطة أنا واحد بشوف حجات مبتحصلش بسمع أصوات مش موجودة بعيش احداث محدش بيعيشها غيرى كل ده كان شبه عادى فى البداية لحد ما بدأ الموضوع يتطور ويوصل لمراحل خلتنى احس اني مش زى البنى آدمين الطبيعيين ، يادكتور أنا مبقتش قادر افرق بين الواقع والخيال كل حاجة بقت متلغبطة نظر لى بتَمعُن آكثر واخذ دَوْرِه فى الحديث قائلاً

ـ كتير من الناس يمكن بتشوف حجات مش حقيقية بتسمع اصوات مش موجودة بتحس بأشياء معدومة ده بيحصل وطبيعي طالما مش بيأثر على حياتك العملية و طبيعتك النفسية يبقي خلاص انما لو اتكرر و بدأ يطاردك و يتعب ذهنك يبقي هنا فى مُشكلة ، بتحس احياناً ان فى مواقف معينة بتحصلك انت شُفتها قبل كدة بنفس تفاصيلها بتشوف ساعات ناس بتحس انك شفتها قبل كدة رغم انك اول مرة تشوفها كل دى حجات وارد انها تحصل فى حياة أي شخص فينا

لا أعلم ما دخل هذه الأمور فى ما قصيتهُ عليه لَكنى كُنتُ شارداً الى كلامه مُنتبهاً لكُل كَلمة بالرغم منِ انه طبيباً إلا آن حديثه كانَ شَيقاً و ممتعاً وجذاباً لدرجة كبيرة

- احكيلي ايه اللى انت بتشوفه أو بتحس بي

اِسترجعتُ ذاكرتى و بدأت اقصُ عليه الاحداث التى عشتُها و مازِلتُ آعيشها قائلاً :

-- معرفش ترتيب الاحداث بالظبط لكنى فاكر معظمها ، فـ مرة كنت ماشى في وسط البلد لقيت واحد ماشى جنبى وفجاة مد ايده ناحيتى عشان يخطف الموبايل فمسكته و بدأت اضربه وازعق ناس قليلة اتلميت عشان كنا بعد ١٢ بليل و حصلت مشادات و محدش صدقنى وانحازه كلهم للراجل و أنا بعد شوية لقيت موبايلى فى جيبي وبصيت فعلا للراجل لاقيته لابس شيك ومش باين عليه انه محتاج بالرغم انى قبليها بدقايق كنت شايفه مدهول و صايع ، دى حاجة من ضمن حجات كتير ممكن تكون بسيطة بالنسبة للى هقوله ، من فترة الموضوع اتكرر بس كان بشكل مختلف المرة دى كنت فى الشركة بليل المفروض بخلص تصميمات وحجات قبل معاد تسليمها الصبح وفوجئت بالمدير المالى خارج من مكتب رئيس مجلس الادارة ومعاه ملفات وبيتكلم مع واحد بيقوله كلام مش مفهوم معرفتش اعمل ايه ساعتها وقررت ان اسكت مؤقتاً بس سكوتى مستمرش

كتير لأن بعدها بأيام صلاح منتصر رئيس مجلس ادارة الشركة اتقتل واستدعونى للتحقيق و سامح كان هو المسؤول عن القضية دى ، لما قولت اقوالى مطلعتش صح و اتقالى ان الفراش قال انى مدخلتش الشركة اليوم ده وانى كنت متوتر اول لما شافنى وسألته عن زميلى علي بعدين روحت ، نسيت آقولك ان علي هو اللى كلمنى يفكرنى بميعاد تسليم الشغل المشكلة بقي لما سألته بعدها آكدلى كلام سامح وبكدة أنا مقدرتش اثبت حتى لنفسى مصدقية كلامى ، الأمر وصل بيا يا دكتور انى روحت لـ دجال وكنت فاكر انى معمولى سحر والكلام ده

هنا تحدث آخيراً و تساءل قائلاً

ـ طب انت المرة الاولى شفت شخص ملامحه الحقيقية اتعكستلك بس فى الاساس كان فى اصلاً شخص انت شايفه لكن موضوع الشركة ده انت شفت مشهد كامل قدامك هو اصلاً مش موجود, الفرق كبير بين الموقفين

قاطعتهُ سريعاً فى حسرةُ بالغة قائلاً

ـ ـ المشكلة يا دكتور انى مبقتش عارف افرق بين الحقيقية والخيال مبقتش قادر اتعامل مع اللى بعيشه بشكل طبيعى أي حاجة بشوفها آي حاجة بتحصلى بسأل نفسى دى بجد ولا أنا فـ وهم كالعادة ، أنا حياتى بقت اصعب مما تتخيل و مش لاقى حل

ـ كل حاجة ليها حل يانور المهم انك متيأسش و متستسلمش, حالتك ممكن تكون غريبة شوية بس ليها تشخيص اجمالى,

فى حـالات أغـرب مـن كـدة بكتـير لسـة لحـد دلوقتـى مقـدروش يوجدولهـا أي تشـخيص أو سـبب يكفـى انى اقولـك فى حالـة شـغلت و قلبـت الطـب النفـسى العالمـى مـن فـترة ، واحـد يـا سـيدى عنـده تأخـر فى ادراك واسـتعياب الاحـداث الزمنيـة يعنـى بيحـضر الاحـداث متأخـر مـش في معادهـا مثـلاً ماتـش كـرة مهـم بيتلعـب انهـردة هـو ممكـن يشـوفوه بعـد سـنة فى نفـس الميعـاد ، حـد عزيـز عليـه يمـوت هـو يتلقـى الخـبر وقتهـا عـادى لكنـه ميدركـوش وميفهمـوش إلا بعـد كام شـهر أو كام سـنة و يزعـل ويعيـط كأن الراجـل مـات لحظتهـا ، أنـت احسـن مـن غـيرك يـا نـور احمـد ربـك ، هتتعـب شـوية بـس خـير ان شـاءالله

ـ ـ الحمدلله يا دكتور ، ايه تشخصيك المبدئي ؟

صَمتَ قليلاً مما جعل القلق يعود بداخى ثُمْ قال :

ـ Hallucination أو الهـلاوس .. يمكـن أحـد الامـراض النفسـية المثـيرة دايمـاً للجـدل والـلى مقـدروش لحـد فـترات قريبـة يوجدولهـا أسـباب واضحـة ، اعتقـد حسـب الدراسـات الاخـيرة ان واحـد فى المئـة مـن البـشر فى العـالم مصابـين بهـذا المـرض فى شـكل مـن اشـكالة ، يمكـن الـلى يبخـلى المـرض ده غامـض و مـش مفهـوم بالنسـبة لينـا كـ دكاترة و نـاس متخصصـة آنـه للاسـف مخلـوط بأمـراض تانيـة كتـير زى التوهـم و الفصـام فكتـير يقولـك انـه جـزء مـن الامـراض دى ونـاس تانيـة بتتعامـل معـاه انـه مـرض مسـتقل عنهـم مجـرد بـس انـه ممكـن يكـون يشـبهلهم فى بعـض الأعـراض الـلى بتظهـر عـلى المريـض

قـام مـن مكانـهِ واتجـه الى المكتـب وعليـهِ علامـاتُ مـن الدَهشـة لكنـه كان متماسـك لدرجـة كبـيرة جعلتنـى آسـتمع بتمعـن لمـا يقـول وقُمـتُ أنـا مـن مـكانى و جلسـتَ امامـه أتعمـق آكـثر فيـما آسـمعهُ, صمـتَ هـو قليـلاً ثُـمَ اكمـل

ـ الهـلاوس بمفهومهـا العـام هـى الإحسـاس بمحسـوس غـير موجـود، وبمعنـى أدق يمكـن تعريـف الهلوسـة بأنهـا الإحسـاس في حالـة اليقظة بمحسـوس غـير موجـود يتميـز بخـواص المحسوسـات الموجـودة كالحيـاة بـكل ماديتهـا يعنـى كأنـك بتحلـم حلـم بـس وانـت فى كامـل وعيـك ، المـرض ده منـه انـواع كتـير سـمعية وبصريـة و حسـية و فى الهلوسـة السـيادة الـلى هـي بتجمـع بـين كل الانـواع دي فى صـورة واحـدة تتمثـل فى معايشـة ارواح واحاسـيس واصـوات كانهـا واقـع بالظبـط ، و غالبـاً دى الـلى انـت بتعـاني منهـا ، بيشـبها كتـير مـن النـاس بالجنـون و فى بعـض الثقافـات عندنـا بيعتبروهـا قنـاة اتصـال روحانيـة بعـالم الجـن والشـياطين أو بتحصـل بسـبب اعـمال السـحر والـكلام ده وبيحصـل كـمان ان المريـض ممكـن يـروح لسـاحر أو دجـال عشـان يشـيل مـن عليـه الحجـات دى زى ماانـت عملـت كـدة

أثنـاء الحديـث كُنـتُ آضـعُ يَـدي عـلى وَجهـى فى نوبـةَ مـنَ الآلمْ ثُـمْ فى لحظـةِ قاطعتـهُ بغضـبُ و صوتـاً مُرتفعـاً لا أعلـم لمـاذا لكنـهُ لَـمْ يُبـالى ابـداً و اِسـتمعَ لى فى هـدوءِ

ـ ـ يعنى أنا المفروض دلوقتى افرق ازاى بين الحقيقة و المرض أزاى افرق بين الواقع والخيال ، أنا معرفش اذا كانت الجلسة الجاية هتبقى تانى جلسة فعلاً ولا هتكون اول جلسة بينا وانا انهردة مشوفتكش

شعُرتُ آن ملامحَ الشفقة بدأت فى الظهور عليه وهذا ما لَمْ آكُن آرغبه لكننى لابد آن أتقبل كُل ما فى الوضع الراهن

اجابنى فى هدوءِ كعادته :
ـ مش هتعرف تفرق لحد فترة قصيرة كل اللى عليك انك تبعد نفسك عن أي صراعات أو مواقف مؤلمة عشان متجيش تشوفها فى شكل المرض وتتعب أكتر بمعنى اصح لازم حياتك الفترة دى تبقى وردى اوى ومفيهاش مشاكل وبعد كدة مع العلاج هتبقى كويس انشاءالله ، اه المرض مش منتشر وغامض وملوش تفسيرات دقيقة بس لى علاج وربك هو الشافى ، أنا هكتبلك روشيتة بسية هتمشى عليها واشوفك الاسبوع الجاى فى نفس الميعاد لو وقتك يسمح .

نظرتُ الى العلاج سريعاً ثُمْ اخذتهُ ورحلت على الفور

****

فى أحد اطراف العاصمة يَسْكُنُ الاستاذ الجامِعى جلال الزهيرى ، رَجُلاً قضي ثلاثةُ وستون عاماً من العمل والكفاح حتى آصبحت حياتهُ مُكللةٌ بكُل سُبُلُ النجاح ، حقاً هُوَ نَموذج للرجُلُ الطموح المثالى ، على الرغم من بلوغهُ سِن التقاعدُ عن العمل إلا انه مازال يشْغِلُ مَنْصِباً استشارياً فى اِحدى الجامعات المعروفة فهو يأبِيَ آن يغادر الحياة العملية يَرفُضَ تماماً آن يُصبِحُ رَجُلاً بلا فائدة يَجلسُ يومياً فى حديقةُ المنزلُ يتناول كُوب الشاي ويقرأ الجرائد ثُمْ يذهبُ الى المقهى لتبدأ سلسلة الاحاديث اليومية مع بعض الاصدقاء المُقربن ..

قررَتُ سهر بشكلُ مفاجئً آن تذهب الى والِدها فهى لم تراهُ مُنذُ مُدةَ طويلة و هي الآن فى حاجة مُلحة الى التحدثُ معه ، تُريدُ آن تستمع لنصائحة و كلماتهُ الغائبة عن آذُنيها لفترة بعيدة ، كانت فى آمسُ الحاجة لكى تَبْكى و تنهدَ وتشْكىُ بينَ آحضانِ والِدُها ، نهضت سريعاً من فراشها وارتدت ملابِسها ثُمْ توجهت الى منزل الأب والدموعُ كانت قدْ تجمدت فى جفونها مُنتظرة آن تنفجر لاحقاً

فتحَ لها الوالد ورحبَ بها بِاِشتايقاً حاراً كأنها كانت تائِهةُ و عادتُ اليه من جديد ، جلسا سَوياً فى حديقة المنزل ثُمْ احضر لها عصيرُ المانجا الذى تُحبهُ منذُ آن كانت صغيرة ، بدأ الوالد يسألها عن آمور الحياهُ و عن زوجها سامح فما وجدَ مِنها

إلا تعبيرات مُحزنة تَدُلُ على آلماً و معاناه بالغة ، اقترب مِنها آكثر وطلب منها آن تقُصُ عليه ما بها ، لمْ تمرُ إلا ثوانى وكانتُ بين آحضانهُ تَبْكى بعُنفِ مرير كطفلة مريضة تمتنع عن جرعة العلاج ، صمتَ جلال حتى هدأتُ قليلاً و بدأت تعتدل وتشكى له مما تُعانيه فى حياتها

ـ أنا تعبت يا بابا مش قادرة استحمل حياتى مع سامح أنا وهو مبقناش زى الاول ، انغيرنا خالص و اتغير حُبنا ، معرفش ليه و امتي ده بدأ يحصل بس الى عارفاه انه صعب يرجع زى الاول سامح اتبدل بقي شخص تانى غير الى حبيته ، مبقتش حاسة اني متجوزة مبقتش حاسة ان فى راجل ف حياتى ، مش عارفة أوصله دايماً تايهة عنه يا بابا

تمايل جلال برأسه قليلاً فكان يعْلَمُ آن سامح هُوَ مِحْوَرُ كُلَ شئً ثُم طلبَ مِنها آن تحكى له بالتفصيل حتى يستطيع آن يجد لها حلولا و يُفكر معها بصوتٍ عالي

ـ اهدى يا بنتى عشان نعرف نتفاهم و نتكلم أنا مش عايش معاكوا ومعرفش حاجة ، متكلمنيش كلام عام و احكيلي تفاصيل عشان اعرف ايه الى مضايقك

امتعضتُ شفاتيها فى حُزنٍ عارِمْ ثُمْ بدأت تخوض فى بعض التفاصيل قائِلةُ :ـ

ـ بقى بارد و مهمل أكتر من الاول مبقاش بيعاملنى انى مراته وحبيبته بقى كل وقته شغل شغل وآجى آكلمه ميحسسنيش انى مهمة أو ليا لزمة ، مبنخرجش مبناكلش مع بعض ومبعرش

هـو فـين جـاى امتـى ، مبيقوليـش حتـى كلمـة يـاكل بيهـا عقـلى أو ترضينـى وصلـت معـاه يـا بابـا انـه مبقـاش حتـى يلمسـنى أو يقـرب منـي لدرجـة انى شـكيت انـه مريـض أو فى حاجـة مخبيهـا بـس لاقيـت انـه زى الفـل وكويـس مفيـش حاجـة ، كل يـوم كل حاجـة بتزيـد ومـن اسـوء لأسـوء لحـد مازهقـت ومـش لاقيـة معـاه حـل

ـ يـا بتنـى لازم تفهمـى ان الحُـب الـلى بيجمـع اتنـين ببعـض بتجيلـه فـترة وبيجمـد شـوية بتبقـى حالـة جفـاف مؤقتـة فى العلاقـة المشـاعر بتبـدأ تعمـل اعـادة لنفسـها لمـا توصـل لمرحـة الملـل العاطفـى وبترجع تـانى و تقـوم بدورهـا ، متسـتنيش منـه يقولـك بحبـك كل يـوم زى اول كام شـهر فى العلاقـة لأن التعبـير عـن الحُـب بيتغـير مـع الوقـت فتبـدأ حجـات تانيـة تعـبر عـن الحـب احسـن مـن الـف كلمـة حلـوة ، للاسـف كل واحـد فينـا بيـدأ يكـون افـكار و يخلـق ظنـون لمـا بيحـس آن العلاقـة بـدأت تمـل ومفيـش جديـد بنبـدأ نرمـى اتهـمات عـلى بعـض مـن غـير حتـى مـا نواجـه بعـض و لمـا بنقـرر نواجـه بيبقـي الوقـت اتأخـر والحمـل زاد والـكلام بقـي دبـش بنرميـه عـلى بعـض مـن غـير تفكـير كأن كل واحـد بيشـل مـن عـلى نفسـه المسـؤلية وبنتصـارع كلنـا عـلى مـين ياخـد دور المظلـوم ! مـع اننـا لـو قسـمنا الادوار مـن الاول ظـالم و مظلـوم ، الظـالم هيحـس بغلطـه و غصـب عنـه هيحـاول يـرضى المظلـوم أو عـلي الأقـل هيبينلـه انـه مقـصر فى حقـة لكـن لمـا نبقـى كلنـا مظلومـين مـين هـيرضى التـانى ؟ ، اكيـد جربتـى تكلميـه و حصلـت بينكـو مواجهـة و الدنيـا باظـت صـح ؟

نظـرت « سَـهر « لأبيهـا نظـرة الافتخـار و الطمأنينـة فهـذا الرجـل اِسـتطاع آن يُفـسرُ كُلَ شـئً فى عبـارات مُبسـطة ، كانـت كُل كلمـة مُفصَلـةُ تماماً عـلى حياتهـا

ـ صـح بـس أنـا لاقيـت منـه ردود وجعتنـى اوى مكنتـش متخيلـة ان الحكايـة ممكـن توصـل للمرحلـة دى قـالي كلام صعـب عـلى أي واحـده تسـمعه

ـ ـ قالك ايه ؟

ـ قـررت انى الومـه عـلى اهمالـه ليـا قولتلتـه كل الـلى كاتمـاه فى قلبـى عـلى امـل انـه يفـوق شـوية و يحـس مكنتـش عايـزة منـه يصالحنـى أو يراضينـى قـد مـا كنـت عايـزاه يحـس بـس اني موجوعة، للاسـف لاقيتـه هـو كـمان كاتـم فى نفسـه وبدأنـا نخبـط فى بعـض وقـالى متعشـيش دور المظلومـة والضحيـة انتـى فاكـرة حضرتـك اخـر مـرة عملتيـلي أي اكلـة بحبهـا كانـت امتـي ! طيـب فاكـرة اخـر مـرة قولتيـلى فيهـا وحشـتنى ! فاكـرة اخـر مـرة قولتيـلى تعـالى نعمـل أي حاجـة مختلفـة كانـت امتـي ؟ فضـل يزعقـلى و يقـولى أنـا مـش مـلاك بـس بـردو أنـا مـش مقـصر لوحـدى و لازم تفوقيـه و بعديـن سـبنى و نـزل

ـ ـ اسـتنيته بعـض كتـير حـد يفتـح التـانى ومحـدش بيتكلـم لغايـة مـا انفجرتـه فـ وقـت واحد

الانتظـار ده السـم الـلى بيقتـل أي علاقـة ، خـلاص حصـل الـلى حصـل بـس تعـالى نـدور عـلى حجـات حلـوة نبـدأ مـن خلالهـا نرجـع العلاقة لطبيعتهـا ، يعنـى مثـلاً تفتكـرى ان سـامح ممكـن يكـون فى فحياتـه

واحـدة تانيـة أو عنـده اسـتعداد انـه يخونـك ؟

ـ معتقـدش لانـه مـش ممكـن هيجيـب طولـة بـال أو وقـت يفكـر فيـه في واحـدة تانيـة

ـ ـ يعنى مش عشان بيحبك ؟

ـ معرفش

وجـدَ انهـا يأسـت نوعـاً مـا فقـرر آن يواسـيها و يُثبـتُ قلبهـا ويلهـب روح الأمـل و الطمأنينـة فى روحهـا

ـ ـ بـصى يـا بتنـى قليلـين الـلى مخنـوش مراتتهـم بدافـع الملـل أو الروتـين بتـاع الجـواز والـكلام الـلى بنضحـك بيـه عـلى نفسـنا ده ، هـما اه قليلـين بـس موجوديـن و اعتقـد مـن خـلال معرفتى بـ جوزك انـه واحـد منهـم ، خديهـا منـي نصيحـة يمكـن تنفعـك و تفتكريهـا ، طالمـا مبيخونكيـش رغـم كل السـواد ده يبقـى لسـة بيحبك لسـة مش عـارف يحـس نفسـه مـع واحـدة غـيرك ، و طالمـا لسـة بتخلصيلـه و محـدش بيمـلأ عنيـكى غـيره يبقـي هيفضـل يحبـك ، مفيـش حاجـة بتمـوت الحـب إلا الخيانـة غـير كـدة شـكليات .

--روحـى البيـت اعمليلـه آكلـة حلـوة و البسـيلك طقـم شـيك و اسـتنيه و هتلاقـي عنيـه بتلمـع زى زمـان يـلا اتـكلى عـلى اللـه

--ابتسـمت ابتسـامة رضـاء ثُـمْ قُبِلَـتُ رأسـه و غـادرتُ ومـا وجـدتُ منـه سـوى العطـفُ و الحنـان كـما كانـت تنتظـر ..

****

يبدو لى اننى تأخرْتُ على الموعد واظنُ آنها وصلَت منذ قليل و تنتظرنى على آحر من الجَمر ، انتهيتُ من ملابسى سريعاً و اتجهتُ الى المكان المُفضلْ لنا لِأجدها بالفِعْل فى انتظارى و جمالها يَطفو على سطح المكان بريقاً و لمعاناً ، اِنها جميلة فاتنة كعادتها ، جلستُ و اعتذرتُ على التأخير ولم اجد منها إلا الابتسامة والرضاء وكأنها لـمْ تعرِفُ معانى السعادة إلا معى ، أنا اعرفها مُنذ مدة صارت طويلة وقد مرت على علاقتنا بضعة أشهُر إلا انَ علامات الارتباك مازالت تأتيى بمجرد آن آراها امامى وكأننى لَـمْ أُشاهِدُ نِساءً مِنْ قَبْل .. تبادلنا الترحاب ثُـمْ قُلتُ لها :

ـ تحبى نروح فين يا مزتى ؟

ـ ـ مممممم اهدي بس و متبصليش كتير عشان مزتك بتتكسف

اِبتسمتُ قليلاً مما اصبحتُ هى أكثرُ خجلاً

ـ خلاص مش هبص مع انك هتحرمينى من عنيكى و كسوفك بس ماشى ، ها بقي نروح فين ؟

ـ ـ بص هو أنا نفسى اروح الملاهي بس يعنى لو مش هينفع دلوقتى ممكن نروح أي مكان سينيما مثلا أو أي حاجة

نظرتُ لها نظرةٌ طويلة ثُمْ نهضتُ من مقعدى قائلاً

ـ يلا بينا على الملاهى

ـ ـ رُسِمَتُ على وجهها علامات الضحكة و السرور آشعرتنى اِننى أجيدُ اسعادها

****

توجهنا الى مدينة ملاهى مشهورة على اطراف العاصمة و كانتَ آول مرة تتواجدُ فى مثل هذه الامكان ، ظلَتْ مريم تلتلفت يميناً ويساراً الى الالعاب التى حولها كأنها طِفلة حُررت من اسوار منزلها وانا أُلاحظُ عليها الفرحة المُفرطة فى عيناها ، وصلنا الى المَقرُ الخاص ببيع التذاكر و أشتريتُ بطاقة تتضمن جميع الالعاب الممتعة ثُمَ بدأنا فى التنقل من لعبة الى اخرى حتى وصلت بنا الوقت الى الساعة التاسعة ، كان الجو شديد البرودة وهذا جعل المكان غير مزدحم بالناس آما مريم فكانت تائهة فى عالم آخر، كنا لابدُ آن نرحل حتى تصل الى منزلها مُبكراً فمن المقرر ان تعود فجر اليوم التالى الى الأسكندرية ، لَنْ أسْتَطيعُ وصفُ شعورى لَكَ بهذا اليوم الرائعُ الذى ظُل محفوراً فى داخلى كأحدُ آجمل الذكريات التى جمعتُنى بها ،مريم كانت قوية عنيدة بقدر ماكانت جميلة و رقيقة ، الحُبُ جعلها انِسانة أُخرى معي غيرُ التى يعرفونها المقربينُ لها بما فيهم أنا

****

قَدْ تكونُ لِسْتَ مُقتَنِعاً بما آقول وتتساءل فى حيرة ، كيف لأمرأةُ بكُلَ هذه المواصفات المُذهلة آن تجمع بين القوة و الضعف ، الحنان و القسوة ، التساهل و العناد !

لَنْ آخوض آكثر فى هذه المنظقة من الحديثُ ويكفينى آن أُخبرك بأنك سترى مريم بنُسخة آخرى غيرِ التى عاهدتها منذُ البداية ، ستفهم ما آريدُك آن تفهمهُ لاحِقاً و لا أُخفى عليكَ آننى أتعمدُ

ذلـكَ حتـى أُحـركُ فضولـكَ وأُرغِمُـكَ عـلى مواصلـة القـراءة ..
تركْتُهـا ثُـمْ ذهبـتُ الى منـزلى و كان النعـاس قَـد غلبنـى مُبكـراً عـلى غـير العـادة ، اِستسـلمتُ الى الاسـترخاء والتكاسـل وانجرفـتُ فى سُـباتاً عميقـاً لَـمْ استفيقُ منـهٌ إلا فى ظُهـرَ اليـوم التـالى عـلى مُكالمـة هاتفية مفاجئـة مـن الظابـط سـامح ..

****

جلسَـتْ « سَـهر « فى انتظـاره و كانـت قَـدْ زيَنـت المنـزل بالبلالـين وبعـض الزينـة و حرصَـتُ آن تكـون الاضـواء خافتـة كنوعـاً مـن الهـدوء و الرومانسـية ، لا تعلـم كيـف تحولـتُ بهـذه الصـورة فجـأة ! هـل كانـت فى حاجـة الى دفعـة معنويـة تُيقظهـا مـن سُـبات الكبريـاء و العنـاد التـى كانـت عليـه ، ظلَـتُ طـوال الليـل تعمـل مـن اجـل تلـك اللحظـة السـعيدة المنتظـرة و كُلـما كانَ يمتـدَ الليـل و لَـمْ يـأتِ كانـتُ مشـاعرها تدْبـلُ وتُرهُـق مـن الانتظـار ، نظراتهـا الى سـاعة الحائـط مُسـتمرة فى قلـق وتوتـر ، أمسـكتُ بالهاتـف لتحادثـه لكنهـا سَـمعتُ صـوتُ البـاب ينفتـح قليـلاً ، نظـرت سريعـاً بلهفـة مُفرطـة واذ تجـده امامهـا ينظـر الى أركان المنـزل المزينـة والرائحـة السـاحرة التـى تمـلأ الجـو ثُـمْ حُولـت تلـك النظـرات اليهـا و كأنـهُ يقـول فى داخلـه (الزمـن عـاد الى البدايـات) ، ابتسـمُ قليـلاً قائـلاً :
ـ دي ايـه الحجـات الحلـوة دى ! مـش متعـود أنـا عـلى كـدة ، فى ايـه !
بادرتهُ بِأبتسامةُ خجولة :

ـ ماهو ده اللى المفروض يحصل يا أستاذ ، يلا بقي غير هدومك عشان أنا جعانة
ـ استنى بس ، انتى مالك حلوة ليه كدة انهردة ، ده أنا حاسس انى عايز اعاكسك واخد رقمك
ـ مبديش رقمى لحد حضرتك عايزنى تقدر تتفضل تروح تقابل با با

تبادلا المزاح والضحكات و كأنهماُ وُلدا من جديد و كأن الروح عادت الى الجسد ثُمْ دفعته سهر بأيديها حتى يذهب الى الغرفة.

ابتسم هُوَ الآخر ثُمْ مد شفاتَيْهِ ليقُبلها قُبلةُ مفاجِئة قبل آن يتوجهُ الى الغرفة ليُبدلُ ملابسه ، كانت قُبلة تحملُ الكثيرُ من الحُبُ و الاشتياقُ والشهوة ..
عاد سريعاً ليجدها تُحضرُ الطعام و المشروبات حتى يجلسونَ سوياً على مائدة واحدة و هذا لَمْ يحُدثُ منذُ زمن .
انتها من الطعام ثُمَ قامُ هُوَ من مكانهُ متوجهاً لها فى خطوة سريعاً ليُمسكُ فجأة بخصرها ويحْمِلها كالأطفال ويذهب بها الى غرفة النوم لاِطلاقُ كُلَ الشُحنات المختزنة الكامنة ، لَمْ ينفتحُ الباب سوى الساعة الثالثة عصراً وكُلاً منها يُشعُ جُهداً و اِرهاقاً من ما حدثُ فى ليلة الأمس

انت آكثر دراية بليلة حميمية بين زوجان لم يلتقيا فى فراشاً

واحـداً منـذُ شـهرينُ آو آكـثرُ ، الأمـور بينهـما الأن صـارتُ افضـل بعضَ الشـئ وإن كان لابـدُ مـن الاسـتمرارية حتـى لا يخمـلان مـرةُ أخـرى

****

لَعْنةُ الصُدفة قادرة اَنْ تُحيى أشياءٌ دَفَنَتْها الأيام

العاشرةُ قبل مُنتصفُ ليل الخميس واثناء حديثنا المُتبادلُ ذهبت اعينُ سامح بعيداً و توقف لسانهُ عن الحركة وعلامات الشرودُ تشكلتُ على وجههُ و كأنهُ فقدَ الوعى الأمر الذى جعلنى أيضاَ آصمُتُ وأنتبهُ لكنهُ لمْ يَكُنْ معى ، قررتُ آن التفتُ وانظر خلفى لكى آعرف ماذا يدورُ هُناك ونظرتُ للجهة المنتبه اليها سامح ووجدتها آمرأة تجلسُ بمُفردها تتناول فنجان القهوة فى ثبات وسكون من دون آن يكون هناك شئً يُثير الانتباه لكنى حتى آكونَ مُنصفاً فأسمح لى آن اقولَ لك اِنها آمرأةُ بكُلَ ما تحمَلَهُ الكلمة من معنى وظننتُ آنه آنتبهُ لها من شدة جمالها ولكن الأمر لم يكُنْ كذلك ، عادت نظراتهُ اِلَيْ من جديدُ بأبتسامة بسيطة و طالبنى آن نُكمْلُ ما بدأناه ، قررتُ آن أسألهُ عن ما جذبهُ لهذه المرأة لكنى أجلتها لحين الانتهاء من حديثنا ..

ـ انت ليه ساعدتنى وحسستنى آني واحد صاحبك مش واحد كان متهم في قضية و خلصت ، أنا ملاحظ ان كلامك معايا اختلف

ـ أنا نفسي معرفش ، معرفش عنك أي حاجة غير اسمك تقريباً بس أنا ليا نظرة فى الناس و انت شخص كويس ومحل ثقة كمان أنا يعتبر ماليش اصدقاء كتير غالبا مفيش خالص وممكن عشان كدة حسيت انى برتحلك و بقربلك بسرعة
لا اعرف لماذا آنتبانى شعوراً بالسعادة من كلماته وكأننى كُنتُ فى حاجة لكى آستمعُ لمثل هذا النوع من الكلمات ، اشعر أيضاً

اِننـا سـنصبحُ اصدقـاءً
ـ هتعـرف متقلقـش ، أنـا اه فـالأول مكنتـش طايقـك خصوصـاً فى اول لقـاء جمعنـا بـس مـع الوقـت لاقيتـك شـخص تـانى غـير الـلى كنـت شـفته ، دكتـور حسـن كـمان بيعاملنـى بشـكل مختلـف حسـيت انـك موصيـه جامـد
ـ أنـا تقريبـا عمـرى مـا طلبـت منـه حاجـة عشـان كـدة هـو هيهتـم بيـك اوى ، طمنـى عملـت ايـه معاه
ـ قـال انى بعـانى مـن مـرض اسـمه هـلاوس وشرحهـولى بالتفصيـل وأكـدلى انـه لى عـلاج فعـال بـأذن اللـه بالرغـم مـن انـه مـرض مـش سـهل و يعتـبر مـن أسـاطير الطـب النفـسى

شَـعُرتُ آنـه لا يريـد آن يخـوض أكـثر فى تفاصيـل المـرض حرصـاً منـه عـلى عـدم الحـرجُ الـذى مـن الممكـن آن آشـعر بـه و تحـدث قائـلاً :
ـ انشاء الله خير ، تابع انت بس معاه وكله هيبقى كويس
ثُـمْ وجدتـهُ نظـر مـرةً اخـرى لتلـك المـرأة التـى كانـت وظلـت هـى جالسـة بمُفردهـا ، ارتفـعُ فضـولى آكـثر وآكـثر وبادرتـهُ بالسـؤال :
ـ مين دى اللى انت عمال تبص عليها من اول ما قعدت ؟
أخذُ بعضُاً من الوقتُ صامتاً ثُم قال :
ـ «شـيرين» ، اول حُـب فى حيـاتى ، حـب ابتـدى مـن ابتـدائي لحـد فـترة ثانـوى ، عـارف حـب الطفولـة البرئ الصـافى الـلى بيسـتمر معاك لغايـة مـا حـد فيكـو يعـزل مـن جنـب التـانى أو تطلعـوا اعـدادى ف كل واحـد يبقـي في مدرسـة مختلفـة ، اهـوَ ده بـس مـش بالظبط, هى

مكنتش معايا فى المدرسة بس كانت ساكنة فى منطقتنا وبعدين عزلت وبدأت تيجي كل فترة مع أهلها يزوروا قرايبهم ، آنا كُنت بعشق حاجة اسمها شيرين ، أول مرة فى كل حاجة حسيت بيها كانت معاها ، كنا بنسيب بعض ونرجع كل شوية كنا عيال بقي بس للأسف عمرنا ما كنا عيال فى تصرفتنا أو كلامنا مع بعض لما بنتخانق آو بنسيب بعض ، عنادنا وقوتنا ورخامتنا كانوا سابقين عمرنا بكتير ، لحد ما كبرنا وكبرت معانا كُل حاجة ، مكناش بنفوت لبعض غلطة ولا حد فينا عمره أتنازل للتانى وسامحه على اقل حاجة ، عمرها ما ضعفت قدامى أو حتى حسستنى آنها ممكن تضعف ، عمرها ما حسستنى فعلياً انها بتحبنى ، اللى بيننا كانت حرب مكنتش حب أبداً، انتهت صلتى بيها قبل ما ادخل الكلية بشهور

ـ ايه اللى مانعك تقوم تسلم عليها دلوقتى ؟

ـ ـ كرهتها

ـ معتقدش ان فى سبب يخليك توصل لدرجة الكره مع حد كنت بتحبه خصوصاً ده فى مرحلة طفولتك ..

نظر بحُزنٌ ثم قال :

ـ ـ وانا معتقدش ان كان في سبب يخليها تخوني

آدركْتُ آن هذه القصة تركت فى داخله جرحاً لم ينساه اِطلاقاً ولم آفضل آن آخوض معه فى أي تفاصيل تتعلق بها فقد آكتفيت بالاستماع له ، حقاً آنه كان يَحمْلُ طَيً من الذكريات السيئة دبَتْ فى روحهُ حينَ رآها بعدَ غياب سنوات ، ظلَ شارداً تائها

مُستسلماً لخيالـه وأفـكاره ومـا كان عـليْ سـوى الاكتفـاء بمتابعـة المشـهد دونَ آن آنطـق بكَلِمـةُ ، آمسَـكْتُ بالهاتـف حتـى أنشـغل عنه وآتركـه مـع ذاتـه لكنـهُ تحـدثُ بعـد صمـتٍ طويـل ، تلفـظُ بعبـارة آشـعرتنى بمـدى كبريـاء هـذا الرجـل ، قـال بحـسرةُ ونـدم

ـ ـ هتفضل هزيمتى الوحيدة اللى مبتتنسيش

ثُمْ استأذن ليرْحَلْ ..

****

الحاديـة عـشر ليـلاً ، النـاسْ قليلـونْ ، الأضـواءُ خافتة ، الحركـة مُنعدمة ، آشـعةُ الشـمس لا تتخطـى المنافـذ ولا تسـتطيعُ آن تُفـرقُ بـين الليـل والنهـار إلا مـن حيـثُ عـدد النـاس والضجيـج الـذي يحـدثُ بعـض الشـئ ، المـكان يسْـكُنَهُ الخـوفْ الـذي يصـل آحيانـاً الى الذُعـرُ والفـزعُ وهـذا بالطبـع يعـودَ الى الأفعـال البشـعةُ التـى تحـدثُ فجـأة خاصـةُ فى آواخـر الليـل المظلـم ، أرقـي آنـواع الجريمـة تجدهـا هُنـا ، هـذا قتَـلْ آخيـهِ و قـام بتقطيـع جسـدهُ الى اجـزاءُ و القاهـا فى الشـارع وذاكَ ربـطُ زوجتـهُ عاريـة ثُـمَ آشـعلَ بهـا النـار و تركهـا تحـترقُ بـكُلَ بشـاعة، آمـا هـذا فأغتصـب شـقيقتهُ و سـبب لهـا انتهـاك حـاد فى الرحِـم ومازالـتْ بـين الحيـاةُ و المـوتْ

مرحباً بِكَ فى قِسمْ جرائِم النفس بسِجْن الوادى ..

****

شـتاء الاسـكندرية شـديد الـبرودة كعادتـهُ يجعـل أجـواء المدينـة سـاكنة و ذات رهبـة وهـذا يمنـح لبعـض النـاس المتعـة والاسـترخاء ويجعلهـم حريصـون عـلى التواجـد بهـا فى آوائـل شـهور السـنة وانـا بالطبـع واحـد مـن هـؤلاء المهوسـون المتيمـون بعِشْـقُ عـروس البحـر المتوسـط .

رَنْ جـرسُ المنـزل فى سـاعةُ مُتأخـرةُ كُنـتُ آشـاهدُ مُبـاراةُ هامـة فى تصفيـاتُ كأس العـالم لقـارة آمريـكاً الجنوبيـة لذلِـكَ حرصـتُ عـلى السـهر لمتابعـة اللقـاء ، فى البدايـة لمْ آبـدى اهتـمام للأمـر لكـن صـوتَ الجـرس لا يتوقـف الأمـر الـذى جعلنـى آنتفـضُ مـن مـكانى فى غضـبِ عـارمُ مـن هـذا الشـخصُ الاحمـق الـذى يزعجنـى ، فتحـتُ البـاب واذ بهـا امـرأة طويلـة القامـة بيضـاء الوجـه ترتـدى بنطـالاً ضيـقُ للغايـة يـكادُ يخـترقُ جسـدها المُثير و بلـوزة قصـيرةُ تُظهـر مـا تحتهـا ، يبـدو آننـى آمـام عـاهرةُ مُحترفـة ، لا آخفـى عليْـكَ آن هـذه الأمـور جعلت ثَـوْرة غضبـى تهـدء ..

ـ ايوة نعم عايزة مين

امتعضـتُ شـفاتيها بشـكُلاً آثـارنى و نظـرتُ اليْ بلهفـةُ ممزوجـةُ بشـهوةُ عارمـة

ـ ـ عايزاك آنت

ثُـمْ آقتربـتْ منـى و دفعتنـى الى الداخـل ومِـنْ ثُـمْ لـمْ آفهـم شـئً سـوى اِننـا اصبحنـا مُلتحـمان نُقبـل بعضنـا بشـهوةُ جنونيـة والـذي

آوقفنا ثوانى قليلة آن الباب لم ينغلق من خلفنا وهذا ما جعلها تذهب سريعاً لتغلقهُ ومِنْ ثُمَ آصبْحنا عرايا فى أقل من دقيقتان وصار الفراش له الدور الاعظم ،لَمْ آكُنْ آعرف اطلاقاً اِننى بهذه الحرفية فى ممارسة الجنس و لَمْ آتخيل يوما آننى سأفعل ذلك قبل الزواج لكنها آخرجت الموهبة مُبكراً ، كانت تتلوىَ بجسدها على الفراش و تُخرجُ الآهات من آعماقها, آنا لستُ عنيفاُ فالشبقُ المُتدفق هُوَ من جعل صوْتها يتعالى بأِسْتمرار حتى فُرغِتُ شَهْوتها و أُلقيتَ برأسها على الوسادة وأنا اتبعتها على الفور و آرتميتُ بجانبها ، لَمْ آستفيقَ من كُل ذَلِكَ إلا فى الصباح ، اِستقيقذتُ و لم آجدها بجانبي ظننتُ آنها رحلت مُبكراً وخُيِلَ لى آنها سرقتَ بعضَ من الاشياء فى المنزل قبل ان ترحل الأمر الذى جعلنى آنهض سريعاً من فراشى لأبحث عن النقود ، آمسَكْتُ محفظتى و رأيت النقود كما هى لم يأخذ منها شيئاً ، بحثتُ فى كافة ارجاء المنزل لأتأكدُ آنها لَم تسرقُ شيئا.

ً و بالفعل تأكدتْ و سكَنْتُ ظنونى ، بدأ شعورُ تأنيب الضمير ينتابَنى وصِرتُ مُشمئزاً من ذاتى كيف لى آن افعل تلك الخطيئة! كيف لى آن آتجرأ و آخونَ مريم لماذا خاننى ضميرى وسيطر علىْ شيطانى ، اِنها تسكُنْ فى الطابق العلوى من شقتى و أخشى آن تَكون سَمعت صوتاً آو شَعُرتُ بشيئاً خاصة وآن الحى الذى نسكُنُ فيه حياً هادئاً للغاية وفى هذه العمارة السكنية القريبة من البحر البعيدة عن زحام المدينة ومناطقها التجارية والسياحية، ولَكْن توقفُ لحظة هُنا ، هَلْ آنا خُنتُها حقاً آم كانَ

وَهْـماً بداعـى المـرض ؟

****

آنْتَ لا يُمكِنَكْ آن تتأكد وآنا مثلْكَ تماما
لا استطيعُ ..

ارتفعتُ الاصواتُ و زُينَتُ الجُدرانِ ورُسِمَتْ الإبْتسامة على وجوهِ الناس ، همساتُ هُنا ونظراتُ هُناكَ ، ترحيباً هُنا وعِتاباً هُناك ، لِكُلُ مِنا طقوسهُ الخاصة به فى مِثل هذه الليالي فالبعضُ يذهَبْ مِنْ آجل مائدة الطعام الشهية والبعض الآخر يذهبْ مِنْ أجل قضاءُ ساعات من الفرحْ ، لا أخفى علَيْكَ آننى كُنْتُ مُضطرباً بعض الشئُ ولا أعلمْ كُل اللذينَ جلسواُ على هذا المقعد كانواَ مِثلى آم لا ! ، كانَتْ فى تِلْكَ الليلة جميلة فاتنة بشَكْلاُ غيرُ مُسْبقُ, لأولِ مرةُ مُنذُ آن عرفتُها آشْعُر بنيرانُ الغيرة تعبثُ بداخلى من آقل الأشياءُ ، نظراتُ الجميع اِتجهَتُ اليها و آعتقدُ آن الكثير من المدعووين كانوا ينظرون اِلِيْ بنَوْعاً من الحسد ، الكُلُ كان يتساءلُ ماذا فعلَ هذا الرجُل حتى ينال هذه التى لا تصِفُها كلمات ؟، لا آخفى عليكَ آيضاً آننى كُنْتُ مُنبهراً سعيداً بها وبتواجدها جانبى ، لَنْ تِشْعُر بروعه هذه اللحظة إلا اذا كُنتَ قدْ آجتهدتُ و آرهقتُ حتى وصلتُ الى هذا اليوم ، لَنْ تَشْعُرُ بالثقة والفخر إلا اذا كُنتُ قدُ وعَدتُ و آوْفيتُ ..

جميعها آشياءً لا يعرفونها آزواج (الصالونات) .

آمسَكْتُ بيدها و قبلتُها ثُمْ قالتُ هي :

ـ شكلك حلو فى البدلة مش زى ماكنت متخيل و عمال تصدعنى

ـ ـ مانا حبيت اعملك عنصر مفجأة ، سيبك بقي من كل الكلام ده ، انتى حلوة من غير أي حاجة اصلاً فمابالك بقي وانتى

عروسة ، مش فاهم أنا ايه المشكلة لما تلبسى فستان ابيض فى الخطوبة و فى الفرح ، هموت واشوفك بالأبيض
اِبتَسَمْتُ هي خجلاً و كانَ صوتُ المزيكا بدأ فى العلُوْ ، ثُم همستُ فى آذُنيهُ قائِلة :
ـ يا حبيبي مانا كدة كدة موجودة معاك مش هروح فى حتة ، مش هينفع تشوف كل حاجة مرة واحدة كدة ، لازم شوية اثارة وتشويق ..

فى وَقْتٍ غيرُ مُناسباً جاء صديقُاً من الشركةَ يُبارِكُ لَنا ثُمْ آنتهى سريعاً وعُدْتُ لحديثى قائلاً :
ـ ايوة صح ده فى حجات تانية كمان بعد الفستان ولا تخلو من الاثارة و التشويق بردو
ضحكَتُ فى خجلاً آكثر ثمُ دفعتهُ بأيديها وقالت
ـ بس قلة أدب مش وقته ، يلا بقي استعد للرقص عشان دقايق و هتلاقى كلهم بيشدونا ، و متبصش على حد ومتنسجش اوى وانت بترقص مع أي واحدة ، فاهم ؟
ـ يعنى مين ممكن يلفت نظرى فى يوم زى ده غيرك ، بس تمام فا هم
اِبتسما سوياً ثُم بدأتُ نغمات الرقصُ تُعلو فى المكان .. فَرِحُنا ، ضحكَنا ، رقصنا ، ولَكِنْ ماذا بعد !
هيَ ستستمرُ فى فرحَتُها و ستعيشُ بضعة آيامُ مُنتَشيَةُ بسعادة الخطوبة آما آنا فسأنسى هذه الليلة بمُجردُ آن يأتى مُنتَصَفُ

الليـلِ وينْتهـى كُل شـيئاً وآعـودَ لأنغمـرُ فى مـرضى اللعـين و آترقـبُ وحيـداً مـا الوهـمْ الجديـدُ الـذى ينْتظـرنى ..

اِنتهـت الليلـة بخـيراً و سروراً وآنـصرفَ الجميـعُ الى حيـثُ مـا جـاء و بقينـا آنـا وهِـيَ مـع بعـض الأصدقـاء المقربـين وآمُهـا ، قررنـا آن نتوجـهُ الى آحَـدُ الفنـادقُ التـى تَطُـلُ عـلى كورنيـش النيـل لنسـتمتع سـوياً بقضـاءُ وقتْـاً آكـثرُ جـمالا ورومانسـية ، قبـل آن نركـب سـيارتنا فوجئـتُ بشَـخْصاً يَمِـدُ يديـهِ الى مريـم و يُبـاركِ لهـا ثُـمْ نظـرَ اِلِيْ ورَحَـلْ سريعـاً ، لـَمْ آفهـمْ شـيأً ولا آعـرفُ هـذا الرجُـلُ ، فى البدايـة ظننتـهُ أحـد اقاربهـا و جـاء مُتأخـراً لكـنَ هـذا الظَـنْ أُخفـيَ مـن رأسىُ عندمـا نظـرتُ لهـا و وَجدْتهـا شـاردةُ مُرتبكـة وحـركاتُ عيناهـا مُضطربـة ، تناسـيْتُ هـذا الأمـر مؤقتـاً حتـى تَمُـرُ بعـض الأيـام ومـن ثُـمَ آعـود وآسـألها عـن مـا حـدثُ ..

ـ المنظـر مـن هنـا حلـو اوى ، بتحـس فعـلاً بجـمال البلـد وانـت قاعـد فى الاماكـن دى

ـ ـ مريومتى شكلها مش عايزة تروح

اِبتسمتُ ثُمْ آمسكتُ بيدى قائلة :

ـ فعـلا مـش عايـزة اروح ، نفـسى افضـل معـاك و نـروح البيـت مـع بعـض ، نفـسى أغمـض وأفتـح و الاقينـا فى بيـت واحـد ، مفيـش مسـافات مفرقانـا

نظرتُ لها نظرةُ طويلة ..

ـ ـ أنا وعدتك و هفضل اوعدك ، احنا لبعض مهما حصل
ـ عارفة و مصدقة ، احساسي آنى مطمنة لكل حاجة مش بحسه غير بوجودك جنبى ، ربنا يخليك ليا
قبلتُ يدها قُبلة طويلة ثُمْ نظرتُ لها :
ـ ـ بحبك
اِبتسمت تلكَ الابتسامة التى آعشقها ثُمْ قالت :
ـ وانا بعشقك ..

****

ـ انت فين
ـ ـ أنا فى وسط البلد
ـ مع خطيبتك ؟
ـ ـ لأ لوحدى بشتري شوية حجات
ـ طيب مش هنتقابل ؟
ـ ـ هنتقابل ،، نص ساعة وهجيلك
ـ تمام ..

نزلتُ من المنْزلُ بعد قضاءِ عدة آيام بينَ العَمِلُ والنوْمُ دونَ آن آفعَلُ آي شيئاً آخر ، آتجَهْتُ الى وسط البلد تحديداً شارع طلعت حرب لآشتَري بعض الأغراض التي تنقصُنى ولَمْ آجدِ وقْتاً لشرائها ، آنْتَ تعرف آن هذه المنطقة وروعتُها خاصة فى أواخر الليلِ ، لا آعرف لماذا آشْعُر بشيئاً مُختلفُ عِندما آتواجدُ هُنا ..

آثناء سيرى فى الطريق كُنْتُ آنْظُرُ للمارة اللذين على يمينى ويسارى وتِلْكَ هى عادتى لا تندهش ، آتى سامح بمكالمة هاتفية مفاجئةٌ ، جعلنى آشعُرُ من نَبْرَةُ صَوْتهُ آنه حزينُ ويُريدُ آن يُلقي موجات غضبه اِلِيْ فهُو أصبحُ لا يحْكى أسرار حياتهُ إلا معى وهذا ما كانَ يُسعِدُنى كثيراً لأننى آيْضاً كُنتُ آحبُ آن آسْتَمعَ لهُ وهوَ يتحدثُ ، أنتهيتُ من جولتى التسويقية ثُمْ توجهتَ لهُ فى مكاننا المفُضل والمعتاد ولكنَ هذه المرة آخذنى الى هضبة المقطم فى مُحاولةُ بائسة منه آن يبتعد عن الصخب و الضجيجُ قليلاً ، هذا المكان هو الأخر فى غايةُ الروعة والجمال ، وصلنا سريعاً حتى جلسنا سوياً نتحدثُ فى بعض آمور حياتهِ الزوجية فشكيَ لي همومه المتراقمة قائلاً :

ـ معرفش ليه كل حاجة أتغيرت مع الوقت ، الحب واللهفة والخوف من البعد ، كل ده اتغير مع الوقت بدون أي أسباب ملموسة ، يعنى زي ما بيقولوا كدة الحب بيتغير بعد الجواز ،

ـ ـ يمكن مقدرتش تحبها زي شيرين ؟

اِبْتسمَ بنوعاً من السُخرية ثُمْ نظر لى وقال :

ـ أنا لو مقدترش احبها مكنتش أتجوزتها ، آنا حبيت سهر لأنى معاها نسيت حاجات كنت فاكر آنى عمرى ماهنساها آو هبطل احبها ، مع سهر آنا أتحررت من قيود كتير كانت خنقانى، حسيت معاها حجات عمرى ماحستها مع واحدة بعد شيرين كل ده آجبرنى على حُبها ، رغم كل حاجة حصلت ولسة بتحصل

آنا بحسد نفسى عليها لأنها ست مبتتكررش كتير, مكنتش بصدق الاقاويل اللى بتقول ان الجواز بيموت حجات كتير والمشاعر بتدبل والحب بيتغير بس مش عارف ليه بدأت أقتنع

ثُمَ ضحِكَ و جلسْ صامتاً ينْظُر الى القاهرة من آعلى هضبة المقطم ، جلستَ جانبهُ و تحدثتُ له بأهمية ، آرَدْتُ آن يسْتَفيقُ مما هو عليهِ ،

ـ ـ الحُب مبيتغيرش بعد الجواز زى ما بيقولوا ولا فى حاجة اسمها المسؤليات بتزيد و بتدفن الحُب ، كل ده عبث يا صديقى, الحكاية كلها ان قبل الجواز بيكون في آهداف كُل واحد مننا بيسعى و يتعب مقابل انها تتحقق ، الخناقات والمشاكل والظروف كل الخذعبلات دى بنقدر نتخطاها ، لذة الهدف بتقدر تنسينا آي حاجة فبيبقى عندنا طاقة صبر جبارة كل ما تفكر فى المستقبل الجميل اللى رسمته بيصعب عليك تستسلم فبتضطر تكمل للآخر ، ولما بيتم الجواز كل ده بيروح ، اللى بيحصل بعد كدة مش تغيير جذري ولا هو روتين ممل زى الناس فاكرة ، كل المشاكل و المعاناه اللى كنا بنعاينها وبتتعبنا واحنا مرتبطين هى بردو اللى بنقابلها واِحنا متجوزين بس الفرق ان الهدف اللى كان بيشجعنا على الصبر والتحمل اِنتهى مبقاش موجود عشان كدة بنستسلم .. الحُب مبيتغيرش ولا حاجة ، اِحنا اللى بنختصر كل الأهداف فى (الجواز) وبنرجع نقول الحب بيتغير !

اِستمَعَ لي بِاستفاضة واسِعة ، شَعُر آن كلِماتِ تخرُجُ بعقلانية شديدة جعلتهُ يُعيدَ حسابتهُ مرة آخرى فيما مضى ، صمَتَ طويلاً ثُمْ قال :

ـ ممكن يكون معاك حق فعلاً

ثُمَ جائتهُ مكالمة هاتفية ، يبدو آن هُناكَ بعض الأمور التى سيتُجبرهُ على الرحيل .. بالفعِلْ اِنتهى من مُكالمته ثُمْ آستأذننى لنرحل حتى يذهَبُ الى مُديرية الأمن ..

****

قول للمأمور بتاعك ده انِ آنا دُكتور مش ظابط مباحث ، مش كل ماتحصل حاجة تجيبونى ، آنا مش فاضي ووورايا شغل ، لما يجيى المعاد بتاعى هجيلكوا غير كدة متسألنيش فى أي حاجة, آنا عارف شغلى كويس ومش محتاج حد يعرفهونى ، سلام .

خرجت تلك الكلمات من دكتور حسن عبدالعزيز فى غضبِاً عارِماً لاحِظْتهُ عِندما دخلتُ الى غُرفة الكشف ، اِنتهى من حديثه فى الهاتف ثُمَ رحب بي قائلاً :

ـ ازيك يا نور ، اتفضل ، اتفضل ، عصبونى للأسف ، وانا مبحبش حد يعصبنى خصوصاً وانا شغال ، انما نعمل ايه بقي لازم ندفع الضريبة

ـ ـ حضرتك مضايق اوى كدة من ايه يا دكتور

ـ مفيش يا سيدي ، الجماعة بتوع المصحة النفسية فى السجن طالبنى ضرورى دلوقتى عشان فى مريض حاول يهرب وعلى جسمه اثار دم مش عارفين جه منين ، أنا اصلا بروح ٣ أيام بس وكمان أنا مش ظابط عشان يطلبونى ف أي وقت

ـ ـ و ايه اللى جابر حضرتك يا دكتور ، قدم استقالتك ، آعتقد انك مش محتاجة شغل زى ده

ـ أنا فعلاً مبقتش محتاجه ، بس اعمل ايه بقي موضوع الدكتوراه اللى حضرتها كان بيتكلم عن علاقة امراض النفس بالجريمة ، و ده خلانى اتواجد هناك عشان اخوض أكتر فى واقع الموضوع و اقدر انجحه ، لما خلصت مقدرتش اقولهم همشى عشان هما كانوا فتحولى الباب واعتمدوا عليا كمان فى حجات كتير و بقيت عنصر اساسي فى منظومة العمل عندهم ..

آخذَ نفساً طويلاً و صمتَ قليلاً ثُمَ قال :

ـ بينى و بينك فى حالات هناك بتجبرك انك تكمل عشان تفضل متابعها ، الفضول دايماً بيخلينى ابقى حريص على وجودى هناك، الدكتور النفسى مبيوصلش لمرحة النضج الكبيرة إلا لما يشتغل فى سجن جرائم نفس ، ساعتها بيكسر حواجز كتير اوى ممكن تقابله بعد كدة فى مسيرته المهنية

ـ ـ حواجز زى ايه مثلاً

ـ الخوف

ـ ـ اعتقد اِن انسان فى قيمة حضرتك مش ممكن حاجة تخوفه بسهولة

اِبتسَمْ قليلاً ثُم قال :

ـ الخوف مبيفرقش بين دكتور و مريض ، ده السجن الوحيد اللى بتسكن فيه بإرادتك ،

ـ ـ كانوا بيقولوا ان الانسان لو بطل يخاف هيتحول لشيطان ممكن يعمل أي حاجة ، مكنتش بصدق مع انى عمري ما بطلت اخاف

ـ طول ما فى ناس فى حياتك بتحبهم ، أهداف حابب تحققها ، عمرك ما هتبطل تخاف ، اسوء حاجة يا نور لما الانسان ميبقاش فى حاجة فى حياته يخسرها ، بيتحول لشئ ابشع بكتير من ما تتخيل ..

صمَتَ قليلاً وكان آكْثرُ غموضاً هذه المرةُ شعُرتُ آنه يُخبئُ الكثير خلفُ هذه الكلمات ، هذا الرجُل يستطيع آن يُجذبُ آى شَخصاً للاستماع له مِنْ دون ان يَنتابهُ الملل

ـ خلينا فى موضوعك ، قولى فى حاجات جديدة حصلت ؟

ـ ـ الموضوع رجع تانى يبقي بسيط الحمدلله ومفيش بس غير شوية ارهاق وعدم تركيذ والتفكير للأسف بقي عدوي ،

ـ تمام ، عايزك بس تكمل كل حاجة اتفقنا عليها من الأول ، وامشى على العلاج ، المرض خداع و بيرجع فى أي لاحظة ، خليك حذر

ـ ـ حاسس ان الحكاية لسة منتهتش ، حاسس ان اللى شفتهُ أو لسة هشوفه هو الصح و الحقيقي حتى لو مكانش بيحصل فى

الواقـع ، مـش عـارف ليـه دايمـاً بفكـر فى كـدة !

ـ يابنـى الشـك هـو العـدو اللـدود للإنسـان وانـت فى حالة لازم الشـك يجيلـك بسـببها ، عمـرَك مـا هتثـق فى شـخص الثقـة الكاملـة الـلى تخليـك متفكرفـش فيـه بسـوء ظـن و لـو ثـوانى طـوال حياتـك كلهـا أو علاقتـك بي

ـ ـ نفـسي ارتـاح يـا دكتـور ، نفـسي انـام وانـا مـش شـايل هـم حاجـة ، مـش عايـز اشُـكَ فى أي حاجـة بتحصـل ، عايـز التفكـير يسـبنى شـوية

ـ مفيـش حاجـة بتسـتمر آنـت مـش عايزهـا تسـتمر أي كانـت هـى, كل الحكايـة شـوية وقـت و حبـة مجهـود ، صـلى و ادعـى ربـك بالشـفاء ، زودلى جرعـة كـمان مـن العـلاج الـلى كتبتهولـك وحـاول تنـام كتـير و متتعرضـش لاى مواقـف فيهـا شـد وجـذب وتسـتدعى التفكـير

ـ ـ حاضر يا دكتور ، شكراً

ـ متشكرنيش ده واجبي

****

فى آحكْامُ الخيانةُ ، ليسَ للتسامُحْ وجود
فَعِندما يتعلق الأمر بالخيانة يُصبحُ التسامُحْ
جريمة فى حق الكرامة الإِنسانية ..

جلسَـتْ تَبْـكِىُ فى اِنهيـار تـامِ ، آىُ رَجُـلْ هـذا الـذى يسـتَطيعُ آن يتسـببُ فى اذىَ و آلمْ لهـذهُ الفاتنـة ! ، اِسـتمرت فى البُـكاءْ حتـى تجمـدت دموعها ، ومـا كان آحـد يراهـا فهـي اعتـادتْ آن تفـرَحُ مـعَ الجميـع و تَبْـكى وحيـدةْ ، مـا آصعْـبْ آن تحْـزَنْ و تبـكي وَحْـدكْ دونَ آنْ يشْـعُرَ بَـكَ آحَـداً ، ظلـتَ بضعـة سـاعات صامتـةُ مُستسـلمةُ لـكُلْ الافـكار المُشـينة لا تتحـدثُ مـع آحَـدْ أو تُقابـل أحـد ، عـشرات الرسـائل والمُكالمـات مـن نـور لكنهـا لا تسـتجيب ، كُلـما رأتَ اِسـمهُ فى الهاتـف ازدادتُ بُـكاءً ، كانـتْ تبْـكى و كأنهـا طفلـةُ خرجـتَ مـنْ رَحِـم آمُهـا الى الحيـاةُ ، اصْبَـحْ النَـوْمُ والبَحـرُ هُـمْ رُفاقئهـا طِـوال تِلْـكَ الأيـام، مـا الـذي مِـنْ المُمْكِـنْ آن تفْعَلـهُ ، هـل تواجهـهُ بحقيقـة الأمـر آم تنْهـى العلاقـة فى هـدوء ، هـل تُسـافر لُتكْمـلْ دِراسـتُها فى الخـارِجْ عِنـدَ خالهـا ، هـل ترحَـلْ مـن حياتـهُ فى هـدوءِ و تجعلـه لا يسـتطيع الوصـول اليهـا ، مـا رأيـكْ لـو تخـون ! مـا رأيـكْ لـو تَنْتقـم! ..

بالمُناسـبة آلمْ تَخُـنْ مِـن قبـل ! ، هـل تعرضـتُ للخيانـة وتذوقـتُ تِلْـكَ المـرارة التـى لـنْ تنسـاها مـدى الحيـاةُ ، فكـرتَ مـن قبـل لـو خانتـكْ آحدُهُـنْ مـاذا سـتَفْعل ؟ ، هـلْ مِـنَ المُمْكـن آن تضـعُ فى حسـابتكَ بعـض المُـبررات و الأعـذارّ ؟ ، مِـنْ رأيَـكْ مـا هـى الدوافِـعُ التـى تُجـبْرَكَ عـلى الخيانـة ؟ ، كُلهـا تسـاؤلاتْ غامِضـةُ لا تَخلـو ايجابتهـا مـن التناقـد ، تأكـدْ أنـك اذا فكـرتُ تفكـيراً عميقـاً موضوعيـاً فيـما عرضتـه عليـكْ سَـتُدرك جيْـداً كَـمْ آنْـتَ مُتناقـد و غـير مفهـوم, سـؤِلَ آحَدَهُـمْ ،، آيَ شـيئاً غَـيْرُ وفـاة حبيبَتَـكْ يُمكْـن آن يُلحِـقُ بِـكْ شرخـاً وحزْنـاً لـنْ تنسـاهُ ؟

قال بدون تفكير أو تردد : الخيانة
الخيانة فى نظرى آبشَعْ ُ من المَوْت ..

****

-دُكتور حسن
ـ نعم في ايه
استاذ نور بره و مصمم يقابل حضرتك دلوقتى
ـ هو ميعاده انهاردة
-لأ يا دكتور
ـ امال في ايه
-معرفش هو مصر يقابلك وشكله متضايق جامد
ـ طيب ربع ساعة ودخله
-حاضر ..
تفاجأ من زيارتى المُباغتة و أيضاً من علامات التوتر والغضب التى تظهر عَلَيْ ، دخلتُ و جلستُ فى آضطرابٌ شَديدْ ، لْم استفيقَ منه إلا عندما تحدثَ الدكتور
ـ مالَكْ يا نور فى ايه
ـ ـ مُستحيل اكون خونتها لأ مستحيل
-نظر لي بتعجُبْ و اِنْدهاش قائلاً :
ـ مين دى اللى انت بتتكلم عليها
-صمتُ قليلاً ثُمْ تحدثْتُ اِليهِ
ـ ـ مريم خطيبتى
ـ ـ ـ ازداد اِندهاشهُ و تبدلتُ ملاحمه حيْثُ اصبحتْ آكثر فضولاً ثُمْ قال :

ـ اهدى بس واحكيلى اللى حصل
ـ ـ معرفش حاجة غير انى كنت فى شقة اسكندرية اللى هى تحت شقة مريم بالظبط ، و بليل وانا قاعد قدام اللاب توب فوجِئتُ بجرس الباب بيرن ، كانت الساعة حوالى ١ أو ٢ ، فتحب البال لاقيتها وحدة لابسة عريان وشكلها مش مظبوط ، قولت دة ست من الكازينو اللى تحت و اكيد طالع لحد هنا تضي معاه الليلة وغلطت فى الشقة ، لاقتها بتقولى أنا عايزاك انت ودفعتنى لجواه الشقة و بعدين بدأ يحصل بيننا بوس و احضان و انتهى بين المطاف على السرير ، صحيت الصبح ملقتهاش موجود, قومت اشوف فى حاجة اتسرقت من الشقة ملقتش حاجة ، ومشوفتش حتى أي اثار تبين ان حصل حاجة فى الليلة دى
ـ كانت حلوة الست دى ؟
--نظرت له فى تعجبُ و انفعال ، ماذا يفيد هذا السؤال الآن !
ـ ـ معرفش
ـ طب ايه اللى عجبك فيها ؟
--هذه المرة ثارَتُ آعْصابى و بدأ صوْتى فى العِلوْ ،
ـ ـ قولتلك معرفش ، انت ليه مُصمم تسأل فى حجات ملهاش لازمة
--لم يتأثر بصوتى العالي وكلماتى القاسية ، تحدث هوَ بهدوء ورزانة قائلاً :
ـ انت مش عارف اسمها ، ومش فاكر أي حاجة من شكلها ، صحيت ملقتهاش جنبك ومفيش حاجة اتسرقت ، اظن ان مفيش ست هتروح لبيت راجل متعرفوش و تنام معاه بسهولة كدة بدون أي مقابل أو غرض حتى لو كانت واخدة أوسكار فى العُهر, انت لو عندك ثقة في نفسك مكنتش جيت عشان تسمع منى ،

فى الحجات اللى زى دي المرض بيخليك تشك فى الناس ، تشك فى الحجات اللى بتحصل حواليك ، لكنى معتقدش انك ممكن تشك فى نفسك لو عشت أي حاجة انت شايف انها مستحيل تحصل
-- يعنى ايه ؟
- يعنى انت معملتش حاجة ، وده مش افتاء منى لأ ، كلامك هو اللى بيقول كدة ، جرب كدة تروح البار اللى تحت العمارة ودور على الست دى ، ساعتها هتتأكد ان انت برئ ، طبيعي متثقش فى الناس لكن مش حلو خالص انك متثقش فى نفسك ..

بعْدَ يوْمَيْنِ قررتُ الذهاب لذلِكَ الملهى الليلى لكى آبحْثُ عنْ هذه المرأة لَكننى لَمْ آجِدُها ، قررتُ الذهاب مرةً آخرى لكنَ الأمر لم يتغير ، آظُنُ اِننى برئً من ما نَسبهُ اليْ هذا المرض اللعين ، لَمْ اصلُ لعلةُ مُقنعة حتى الآن تمنعنى آن أُخبرُ مريم بحقيقة مرضي ..

****

رأيتُها بعدَ طولِ اِنتِظار و اشْتياقِ ، عيناها هذه المرة لَمْ تَكُنْ كسابقِ الأيامِ ، شَعُرتُ آن هناكَ آمراً ما تُخبئه ، عيناها هى التى كانت تُخبرنى عن فرحِها و حُزنا ، غضبها ورضاها ، وهى الآن حزينة تتألم ، لا اعرف السبب لَكِنها تتألم بشدة ، حاولِتُ فى البداية ان اعرفُ منها لماذا لم تردُ على مُكالماتى كُل هذه المُدة ، لكنها لم تجِبُ ، ثُمْ بدأت أضغطْ عليها آكثر لكى افهم ما الذى يدورُ بداخلها ..
- اول مرة اشوفك كدة ، فى ايه
--صمت تام
- طيب فى حاجة حصلت أنا معرفهاش ، مضايقة منى فى حاجة

--لازالت تكتفى بالصمْتُ
ـ ماهو أنا لازم افهم في ايه
--هُنا تكلمت اخيراً ، لكنها لَـمْ تَقُلْ الحقيقة بل آكدت لى آنها تُريد آن تُخفى عنى كُلَ ما يدور بداخِلها
ـ ـ مفيش حاجة ، كل الحكاية بس انى رسالة التخرُجْ متقبلتش فى الجامعة و ممكن اكمل سنة كمان
ـ و ده سبب ممكن يخليكى قاعدة شايلة الهم كدة ومبترديش عليا بقالك يومين ، قوليلى الحقيقة يا مريم فى ايه
--ارتفعُ صوتها هذه المرة و تحدثتُ بعُنفِ
ـ ـ انت مش هَمك أي حاجة غير بس تتأكد انك مش انت السبب فى اللى أنا فيه ده ، عشان تثبت لنفسك انك معملتش حاجة وخلاص ، جاي عشان تشوفنى كويسة من ناحيتك ولا لأ ، امشى يا نور وسبنى لوحدى .
بقدرُ ما كَاتْ آقْربُ للملائكة و تمتلكَ كُلْ الصفات الأنوثية التى تجعلكْ وسطَ الهلاك إلا اِنها كانتْ عنيدةُ وقوية ذاتَ كِبْرياءِ قاتِل لَمْ آراهُ قبل هذه المرةُ وكُنْتُ آخشي كثيراً آن ينتفضُ فجأة وها قدْ حدثْ ، اِكتفيتُ بالنظر ثُمْ رحلتُ فى هدوء ، فضلتُ آن لا يطول بيننا حديثاً مِنْ هذا النوعْ حتى لا يزداد الصدام وتتوخم العواقب ..

عليْكَ آن لا تَمْلُ أو تُرْهقُ فالقادِمْ كانَ آكثرُ مأساةْ بالنسبة لي وسيكونَ آكثر اِثارة بالنسبة لَكَ ، اِنتظر وترقب ..

****

لَـمْ يَجْدُ سبيلاً افضلْ من ذلِكَ حتى يَزيلُ كُلَ الخِلافاتِ والفوارقُ بينهَ و بَـيْنَ سهر ، رأي «سامحْ» آن وفاة والِدها هو ما سيُتيحُ له الفرُصة ليُشبعها بحنيتهُ ويُخفف عنها آثار الحُزنْ و الألم ، ظلَ سامح بجانبها مُدة طويلة بعد يَوْم الوفاة ، أخذَ اجازةُ لمُدةُ آسبوعينِ حتى يبقي معها ، أراد ان لا يتركُها أبداً فى هذه الظروف المريرة فهو يعلم تماما ماذا كان يَعْنى لها الوالد, لذلكَ كان حريصاً آن يظلُ معها ويُعوضها ولو قليلاً عن كُل ما فاتَ من آسى و حُزنِ و ضغينةُ ، جلس بجانبها على الأريكا آخذها بينَ ذراعيهِ ليُشعرها بالدفئُ الذي غابَ عنها كثيراً ..

ـ أنا عارف ان كل حاجة جت فجأة والصدمة جامدة عليكى, بس خلي ايمانك بربنا قوى ، ده قدره و نصيبه وكُلنا زوال ، ادعيله يا حبيبتى

دموعها نزِلتْ عليهُ وتلاحما آكثرْ و اكثر ، تشبثتُ به وآمسكتُ بيديه بشِدةُ كأنها تقولَ له لـمْ يبقَ لدَيْ شيئاً سِواك ، كُنْ معى دائِماً

ـ ـ اخر مرة كان وشه بيضحك اوى و فضل حاضنى و قاعد معايا مدة كبيرة زى ما يكون حاسس ان دى ايامه الاخيرة ، وطلب منى ان حياتى تبقي كويسة واكون سعيدة ، كان عايز يطمن عليا قبل ما يموت

ـ ربنا يرحمه يارب ، خلاص بقي وحياتى عندك كفاية عياط ، قومى يلا عشان طلبتلك البيتزا اللى بتحبيها

ثُمْ قبلها فى رأسِها واِستندتْ عليهُ لتذهبُ الي المَطبخُ حتى يأكلا سوياً ،سامح كان خيرَ دليلاً للمِثال الذى يقول آن معدَنْ الرِجال يَظْهر فى الشِدة ، اِستمَدتْ سهر الصبر و القوة من رجولته وحنيَتَهُ

بعـدَ آن انتهيـا مـن الطعـام ، قـامَ سـامح ووقـفَ خلفهـا لا تعـرف مـاذا سـيفعل ، نظـرت لـه وقالـت :

ـ هتعمل ايه ؟

ـ ـ هسرحلك شعرك واربطهولك بتوكة ،

اِبتسمتُ قليلاً

ـ يا سامح بطل جنان مش هتعرف

ـ ـ هتشوفى دلوقتى هعرف ولا لأ ، متحكميش عليا غير لما تجربى

ـ طيب براحة متسرحش جامد عشان بيوجعنى

اِستمر سـامح فى تشـكيل خُصيـلاتُ شـعرها حتـى وصَـلْ الى الشـكل المُناسـب ثـمُ قـال

ـ ـ هـا بصى بقي كدة ، ايه رأيك فى الاستايل ده

نظرت فى المرآه و اِبتسمتُ ثانيةً ثُمْ قالت :

ـ برافو عليك ، حلوة

ـ ـ ده الكارت بتاعى فى عنوان الكوافير لو احتاجتى حاجة كلمينى

نظرتَ له و قبلتهُ ثُمْ قالت :

ـ ربنا يخليك ليا ، بجد أنا بحمد ربنا على وجودك .

****

بداية النهاية ...

فى ليلـة مُظلمـة سـوداء كُنْـتُ قريبـاً مِـنْ منْـزِلْ مَرْيَـمْ الجديـد فى القاهـرة و كان قريبـاً مـن منطقـة وسَـطْ البلـدْ ، هـى اعتـادتْ آن تقيـمُ فى العاصمـة آثنـاء الاجـازات ، ولأنهـا كـانتْ وحيـدةُ تمامـا خاصـة بعـدَ وفـاة والِدتُهـا ليـس بحياتهـا أى رَجُـلاً يتحمـل عبـئُ مسـؤليتها ، فى بدايـة سَـكنها كُنْـتُ قـد حصلـتُ عـلى نسـخة مـن

مُفتاح الشقة لكى أُتابع العمال و لا آشعُر آحداً انها وحيدة ، وبعد آن آصبحتُ الشقة كامِلةُ مُتكاملةُ ، توقفتُ عن الذهاب هُناك لكِنَ المفتاح ظَلَ مَعى ، فى تمام العاشرة مساءً كُنْتُ امام منْزلُها آتأمل شَرفتها من بعيدً ، فكرتُ آن آكلمها وآطلُب منها ان تأتى ونجلس سوياً لأن العلاقة أصبحتْ هشةُ و غير مفهومة، فنحن لا نتحدثْ كثيراً وربما سَنفترقُ قريباً ، أثناء تفكيرى بها وفى كُل ما يشغلُنى لَمحْتُ شَخْصاً يدخل الى العمارة حاملاً على يديهُ ورداً ابيضً ، استطعت آن آراه جيداً وكانتُ الصدمة المميتة, اِنهْ ذَلِكَ الشخص الذي جاء ليلة الخُطبة مُتأخراً ومدَ يديه الى مريم ولَمْ يلتفتُ اِليْ ، هل تذكرتهُ !؟ ،، لقدْ نسيتُ آن أُخبرك, هذا الرجُلْ هو حبيب مريم الأول الذي قضتْ معه آكثر من ثلاثة سنوات قبل آن آعرِفها ، سألتها وأعترفت لي من قبل .

ماذا يفعل هذا الرجُل هُنا و فى هذا التوْقيتُ ، كُلَ آمواجُ الشكُ حاوِطتُنى للحظاتُ جعلتنى لا اعرف كيفُ يُمككنى آن آفعل الآن! قررتُ فى ثانية آن آتصلُ بها ..

ـ ايه يا «مريم» انتي فين ؟

ـ ـ أنا عند خالتو هبات عندها و هروح الصبح ، خير فى حاجة ؟

تثمَرْتُ مكانى و الحيرة تملأ عقلى

ـ لأ بس كنت ناحية بيتك فقولت اكلمك تنزلى نقعد شوية مع بعض

ـ ـ خليها مرة تانية يكون الوقت مناسب

ـ طيب أنا هبقى اكلمك لما تروحى

ـ ـ ماشى ، سلام

تذَكرْتُ لوهلة آننى مريضاً وآخذتُ نفساً عميقاً ، من المُمْكن

آن لا يكونَ هذا الشئَ الماثلُ امامى غير صحيحاً تماماً وعليْ آن لا اتسرعُ و آحكُمُ عليها ظُلْماً ، يبدو آن الهلاوس قد تشكلتُ فى ابشع صورها ، ذهبتُ الى منزلى ومازال الشكَ يُحاصرنى لكننى عاجِزْ عن فعلُ أي شيئاً ، لعلَ القادِم آكثر وضوحاً ويقيناً ..

****

ـ كُنتَ فاكر ان الحالة بتتحسن شوية لكن واضح كدة انها بتزداد سوء ، معرفش أنا ممكن أتحمل لحد امتى حجات بالشكل ده ، يا هتجنن يا اما هموت

كَلماتُ خرجتُ منى فى يأساً وصلَ الى مرحْلةُ بعيدة ، اِستمعَ لى الدكتور بتمَعُنْ آكثر ورُسِمَتُ عليه ملامحْ الشفقةُ ، حقاً لقد كُنْتُ مُثيراً لُكل انواع الشفقة ، آكملتُ ما بدأتهُ قائلاً :

ـ ـ المرة دى شفت الراجل اللى كانت بتحبه مريم قبل ما تعرفنى طالعلها شقتها و معاه بوكيه ورد ، تفتكر ده معناه ايه ، هلاوس بردو ولا حقيقة

ـ اسألها

ـ ـ كلمتها عشان اسألها هي فين قالتلى انها بايتة عند خالتها وده خلانى اشك أكتر و فى نفس الوقت مش عايز اتسرع واحكم

ـ تفتكر مريم ممكن تخونك ؟

ـ ـ معرفش ، بس احنا متخانقين بقالنا فترة والعلاقة شبه منتهية

ـ و تفتكر الخناقة ممكن تقلب بخيانة !

ـ ـ معرفش يا دكتور و مش هقدر احكم ، بقولك اللى شفته وخلاص

ـ ما أنت مش هتعرف تحكم ، بس قولى صحيح انت ليه مصارحتهاش قبل كدة بحقيقتك

ـ ـ مش عايز تبصلى بالنظرة اللى انت بصتلى بيها من شوية
ـ خايف تصعب عليها ولا خايف تستغل مرضك و تخونك بجد وهى هتبقى متأكدة ان حتى لو عرفت أو شفتها مش هتكون متأكد ان اللى شفته ده صح ولا لأ و هتخاف تظلمها
ـ ـ معتقدش انى لو قولتلها هرتاح زى مانت فاكر ، لو قولتلها يبقى لازم احكيلها كل حاجة وانا مينفعش احكيلها كل حاجة عشان ممكن متصدقش
ـ اه اصدقك موضوع الست اللى جاتلك الشقة ؟
لمْ أُجيبهُ و بقيتُ صامِتاً ثُمْ آكملَ هُو قائلاً :
ـ ـ معنى كدة ان مفيش ثقة ، ماهو لما تعرف بالموضوع و فى نفس الوقت تعرف و تتأكد انك مريض و اللى حصل مكنش حقيقي يبقي ثقتها فيك هتخليها تصدق ، مشكلتنا اننا بنردد كلمة الثقة دى وخلاص و احنا مش فاهمين أي حاجة ،
ـ أنت عمرك ما كُنت واثق فيها أو بمعنى ادق عُمرك ما قدرتْ تتحرر من قيود الشك الل سجنت نفسك فيها ..
كلماته كانت بمثابتة الرصاصة التى تخترق قلبى ، لمْ آستطع اكمال الجلسة و رحلت فى غضب شديد و كُل ما كان يستحوذ تفكيرى هو كيفية معرفة الحقيقة اِن تكرر الأمر و بالفعل وصلتُ الى الطريقة التى تُمكننى من ذلك ..

****

أغلب الحجات اللى عملتها فى حياتك مكنش ليك ذنب فيها ولولا الناس اللى دافعتك لكدة كنت هتبقى شخص كويس ، دايماً الحظ بيكون لي دور اساسي فى أي حاجة حصلتلك ، يمْكن يا سيدى لو كنت اتولدتُ وسط بيئة عايشة فى شقق ٢٠٠ متر

وبتركب عربيات وبتسافر بره مكنتش اضطريت تقتل ولا تسرق عشان تعيش ، مش ذنبك انك اتولدت لاقيت ابوك مدمن ولا تاجر مخدرات ، مش ذنبك انك اتولدتْ لاقيت أمك ماتت وهى بتولدك فتبقي مجبر تكمل حياتك كلها بلا أم ، افتكر دايماً ان الاساس هو الاهم فى كُلْ حاجة ، متصدقش اللى يقولك الشخص المحترم يبفضل محترم حتى لو عاش وسط بيئة كلها قتل و سرقة ومخدرات ، الانسان مننا اضعف بكتير من انه يقاوم الحجات دى خصوصا لو اتولد لاقيت نفسك فيها ، أغلبنا بيبقى ضحايا لأشخاص ، لمجتمع ، لأفكار ، محدش بيختار حاجة و ياخدها إلا لما حد تانى يسمحله انه يخادها ، كلمة (ليه) اللى كلنا بنقولها اول ما القطر يفوت و ميبقاش قدامنا حاجة غير الندم، عندك أنا مثلاً ، ليه روحت لدجال ، ليه سبت الشغل, ليه بقيت مريض، ليه حبيت مريم وانا عارف انى مريض نفسى، الف تساؤل موجود فى حياة كل واحد فينا ، خليكْ دايماً فاكر ان الشيطان مبيأثرش على حد إلا لما يكون الحد ده عنده ميول شيطانية و رغبة لكل حاجة ممنوعة ، مسألتش نفسك قبل كدة ليه الشيطان موزكش انك تسرق أو تقتل ، مع انها حجات حرام وبيوزك على حجات تانية حرام بردو بس لا يعاقب عليها القانون ، هو الشيطان بيعرف حاجة اسمها قانون! أكيد لأ ، يبقي انت كدة فهمت ، فهمت انك لو نفسك تسرق أو تقتل هتلاقى الشيطان فى ضهرك زى ما بتلاقيه فى ضهرك فى حجات تانية .. كل ده مش مهم ، المهم انى عايزك تعرف حاجة عشان متفكرش فيا بسوء ظن و تحكم عليا ظلم ، جريمة القتل اللى حكتلك عنها فى الأول اِرْتكبها أبويا مع آمي ، تخيل انى طفل مكملتش ١٤ سنة وشفت امى بتتقل قدامى وانا مش قادر اعمل حاجة ، ابويا

سافر بعديها خد فلوسها اللى كان جدى سايبها وسافر و عمره ما سأل عليا ، ابويا كان مدمن بودرة وحجات تانى كتير وانت عارف ايه اللى ممكن يخلى مدمن يقتل مش محتاج اشرحلك ، حادثة بشعة زى دي ممكن تخلى أي حد يصاب بأقوى الأمراض النفسية مدى الحياةُ ، الهلاوس هى أسوء حاجة ممكن تصاب بيها ، هيجي وقت عليك هتعرف ان كُلنا مرضى نفسيين بس آغلبنا بيخاف من المواجهة ، بيخاف يعترف .

****

الحادية عشر قبلَ مُنتصفَ الليلَ ، كُلَ ابرجِ الإنارة لا يَصْدُرُ مِنْها الى ضوءِ خافِتْ ، الشوارِعُ آقرب للعتمةُ ، تِلْكَ المنطقة تتميز بالسكونِ التام عندما يأتى الليل ، حركة السيارات تكاد تكون مُنعدمة ، الناس قليلونْ ، المَحِلاَت لا تتواجد وسطْ العِمارات السَكَنية بل تتجمع فى مكاناً قريب منها ، تعمَدْتُ الذهاب الى منْزلها فى هذا التوقيت ولا أعلم ما هوَ السبب الذى آجبرنى على ذلكَ لكنَ هُناكَ شيئاً آنْتفضِ فجأة فى رأسى ، شيئاً يوسْوِسُ لي آن هُناكَ أمراً ما سيْحدُثُ اليَوْمُ وفى هذه الساعة بالتحديد ، دعنى أُوَضِحُ لَكَ ، اليوم الخميس و غداً اجازة رسمية ، مريم مُقيمة فى المنزل لن تخرُجُ و هُنا لا أحد يَشعُرُ بِاحد خاصة فى اواخر الليل ، مما يعْنى آن ما رأيتهُ من قبل قد يتكرر مرةُ أُخرى وقدْ كان بالفِعْل ، جاءَ ذَلِكَ الشَخصُ الذى آتى المرة السابقة وحامِلاً فى يديهِ حقائب طعام ، يبدو آن الكارثة ستُحْدُثُ اليوم ، اِتبعتهُ بهدوء ومن دونَ آن يرانى حتى وصلَ الى المِصعد الكهربائي وبُمجرد أن اِنغلَقَ باب المِصعد ، رأيتَ فى الشاشة الصغيرة أن الدور المطلوب صعوده هو السادس مما يعنى آنهَ لا يأتى إلا لِـ

مريـم ، اسـمريتُ فى الوقـوف لعلـه يَنْـزِل سريعـاً لكـنَ الوقـتَ كان يَطـولَ ، أصبحـت الثانيـة عـشر ونصـف ، مـاذا أفْعـلَ فى ذَلِـكَ المـأزق، ثـارتَ و انتفضـتُ كُلَ ريـاحُ الرجولـةُ و دبـتُ فى عروقـى الكرامـة، آنـا سـأصعد وآري مـا الـذي هُنـاك وليحـدثُ مـا يَحْـدُثُ, ثـوانى قليلـة وكُنْـتُ آمـام البـاب ، لكنـى توقفْـتُ لحظـة حتـى آنـزع المُفتـاح مـن الحامـل الـذى بـه لـكى لا يُسـبب ضجيـج ، فتحـت البـاب فى هـدوء وانـا غـيرُ مُـدْرِكاً لأي شـئً ، دخلـتُ ولـَمْ آري آحـداً امامـى، ظننتهـا نائمـةُ فى غُرفتِهـا فـأتجَهْتُ ناحيـةُ الغرفـة و كان البـاب بـين الانغـلاق والانفتـاح وهـذا اتـاحَ لي رؤيـةُ الغرفـة مـن الداخـل ، تمايلـتُ بـرأسي قليـلاً حتـى أتمكـن مـن المُشـاهدة وصُدِمـتُ صدمـةُ لـنْ آسـتطيع وصْفهـا لـك ،مريـم كانـتْ بـيْنَ آحضـان هـذا الرجُـلْ وهـوَ يُقبلهـا بحـرارةُ شـديدة و يبـدأ آن يغـوصَ فى آمـورا أُخـرى آخـذاً كُلَ الأوضـاع كأنـهُ يتعامـل مـع زوْجتـهُ آو عاهِـرة مُحترفـة ، انامِـلُ أرجُـلى اِلتحمـتُ فى الأرض لا أسـتطيع تحريـكُ آيَ شـيئاً مِـنْ جسـدى, آهـات وانفعـالاتُ ، همسـاتِ واشـاراتِ ، كُلُ هـذا ماثـلاً آمـام أعيُنـى ولـوَ آن الغُرفـة كانَـتُ ظلامـاً دامسـا فعقـلى رَسـمَ لى الصـورةُ بوضـوحِ كـما اِسْـتمعتُ للاصـواتِ ، بالتأكيـد آنـت الآن تُصـدمُ كفـاً بالأخـر وتقـول كيـف لـه آن يُصـدقُ كل ذلـك سريعـاً وهـو يُـدرك تمامـا انـه مريـض وآن الأشـياء الماثلـة امامـه قـد لا تكـون حقيقيـة ، آنْـتُ مُحـقُ فى كُلَ مـا فكـرتَ بـه ، بالفعْـل كان هـذا الشـئ هـو مـا اِسـتحوذ عقـلى حينَهـا لكنـى وجَـدتُ الحـل الأنسـب ، وهـو سـامح ، نعـمْ مثلـما رأيـت ،سـامح هـو الشـخص الأوحـد الـذى يسـتطيع آن يؤكـد لى كُلَ مـا يحـدث . .

ـ الو يا سامح انت فين ؟

ـ ـ ايه يا نور فى حاجة

ـ اه كنت عايزك معايا كدة فى موضوع ، لو تعرف تجيلي شقة مريم دلوقتى يبقى تمام اوى
ـ فى مشكلة ولا حاجة ، انطق يابنى عشان اعرف اتصرف
ـ ـ لا لا مش زى مانت متخيل ، هو بس فى شوية مشاكل بسيطة حصلت مع كام واحد من اللى اشتغله فى الشقة و بيقولوا هيجو و معاهم امين شرطة
ضحك سامح بسُخرية قائلاً :
ـ امين شرطة !! طب أنا جاى ، اوصفلى العنوان
ـ ـ ١٢ شارع مصطفى زهران الزمالك الدور السادس الشقة اللى قدام الاسانسير
ـ تمام أنا جنبك هنا فى جاردن سينى ، دقيقتين وابقى عندك
وبالفعل لمْ تَمُر سوى دقيقَتيْنِ و وصَلَ سامح الِى الشقةُ ، كُنتُ قدَ فتحتُ البابَ مُبكراً حتى لا يرنَ الجرس و تَخْتَلِطُ الأمور ، رحبَ بي قائلاً :
ـ ـ ايه ياعم المكان الجامد اللى انت هتتجوز فيه ده ، يا بختك
لَمْ آردُ عليهُ ثُمْ دخَلَ و جلسَ على الاريكَةُ يَنْظرُ الى ارجاء الشقة بفضول ُ
ـ فين الامين اللي انت جايبنى عشانه ده و ايه اصلاً اللى حصل
نظرتُ ناحية الطُرقةَ الطويلة التى بها الغرفة ، و رأيتُ ان الاجواء مازالتُ كما تركتُها من دقائق
ـ ـ قومَ بس اغسل وشك العرقان ده و اتفرج على الشقة و أنا هكلم الناس دي اشوفهم فين
ـ ماشى
ـ ـ مريم مش هنا ، خد راحتَكْ
حتى لا يختلطُ بكِ الأمر آوِدُ آن آوضحُ لكَ هذه الملحوظة التى

قـد لا تكـون آتـت فى عقلـك الأن ..

سـامح لـَمْ يـرَ مريـم أبـداً وهـذا مـا جعلنـى آسْـتَعينُ بـه ، خطتـى كالأتى ،، سيسـيرُ ناحيـة الغُـرفُ ليشـاهد الشـقة وانـا سـأتبعهُ مُتأخـرا ً وعندمـا يقْـتربُ مِـنْ تِلْـكَ الغرفـةُ سـأنتبهُ لـه كثـيراً ، اِنْ تبدلـتُ ملامحـهُ و ظهـرتُ عليـه اثـارُ الموقـف سـيأتينى اليقـين واِنْ لم يتأثـر و آكمـل جولتـهُ فأنـا آعُـانى مـن ابشـع صـور المـرض و حَكَمْـتُ عليهـا ظُلْـماً ..

تمهَـل فى خُطواتِـهِ يشـاهد اركان الشـقة و اتجـهَ الى طُرقـةُ الغُـرف, بـدأ يـرى غُرفـة تِلْـوَ الأُخـرى الى آن وصـلَ لِتِلْـكَ الغُرفـة ، نبضـاتُ قَلْبـى تـكاد تَخْـرجُ مـن جَسَـدي ، عيانـاي لا تتحـركُ ، الخَـوْفُ تمكَـنْ مـن قتـلى اكـثر مـن مـرةُ فى ثـوانى قليلـة ..

****

ـ بعـد اذنـكْ يـا فنـدم أنـا بعتـذر عـن متابعـة الحالـة دى ، آرجـوك اعفـى مـن عليـا الحـرج

ـ ـ مفيـش حاجـة اسـمها حـرج هـو ولا قريبـك و لا صاحبـك ، ده مجـرد واحـد كان بيتعالـج عنـدك وانـت ادرى واحـد بحالتـه و بخطورتـه

ـ حضرتـك فى دكاتـرة كتـير اكفـاء يقـدروا يتابعـه الحالـة ، أنـا مـش هقـدر

ـ ـ اتفضـل يـا دكتـور ده ملـف المُتهـم فى كل حاجـة ممكـن تفيـدك, واعتقـد انـك مـش محتـاج تبـص فيـه كتـير بـس اهـو خـد فكـرة ، قدامـك يومـين فكـر و خـد قـرارك و أنـا مسـتنيك ..

يـا لَلْصدمـة ! لقـد تغـيَرَتْ نظـراتُ سـامح و تبدلـتُ ملامِحـهُ تمامـا ً ، بـدأ ينْظُـرَ لى و ينُظـر الى مـا بداخـل الغرفـة كأنـه يسـتاءل عـن الـذى يـراهُ ، اتجـهُ نَاحينـى وانـا لا ألتفـتُ يمينـاً أو يسـاراً ، آنفـاسي أصبحـتُ قليلـةُ ، عينـاي تتسـاقط منهـا قطـراتُ الدمـوع ، امسـكنى سـامح مـن ذراعـى و سـألنى مـا الـذي يـدور داخـل الغرفـة لَكِننـى مازِلْـتُ صامتـاً مُتصلبـاً فى مـكانى ، رَحَـلَ مِـنْ آمامـى فى اِندهـاش و غضـب ، اِذِ كُلَ شـيئاً حقيقيـاً ..

لمَحْـتُ مـن بعيـد شـيئاً عـلى الأريكـة ، يبـدو آنـه نـسىَ السـلاح المـيري ، فى آقـسي مراحـل الغضـب و العُنـفْ ، توحـدتُ كل عنـاصرْ الاِنتقـام بداخـلى و أخـذتُ (الطبنجـة) و اندفعـتُ سريعـاً الى الغرفة ، اشـعلتُ الضـوء و انفزعـا آمامـي و بـدأت هـى فى الـصراخ آمـا هُـو فظـل يترجـانى آن آترُكـهُ يرْحـل لَكِتـى لم انتبـع لـه بقـدر مـا كُنْـتُ آنظـر لهـا ، رقـدَ سريعـاً و خـرجَ مـن الشـقة ، وبقيْنـا أنـا وهـى سَـوياً مِثْـلما كُنـا مِـن قبـلْ لَكِـنْ هـذه المـرة تختلـفُ عُـنْ كُل المـرات السـابقة ، رفَعْـتُ المُسـدس و وجهـتُ يـدى نحوهـا و هُنـا توقـفُ صراخهـا تمامـاً وكأنهـا تعلـم ان مصيرهـاُ لـن تفلـت منـهُ ، دموعـى خانَتْنـى هـى الأُخـرى و تساقطتُ بشـدة ، كُلَ هـذا حـدَثُ في دقائـقُ مـرتُ وكأنهـا دَهْـرٍ طويـلاً ، نَعـمْ لقـدُ قَتَلْتُهـا

قتَلْتُهـا وهـى التـى كُنـتُ آخـشى آن آغضبهـا ولـو دون عَمِـدا ٍ ، الأن هـي مُسـتلقية امامـى غارِقـةُ فى دمائهـا ..
وجـدتُ سـامح مِـنْ خلفـي يُعنفنـى عـلى مـا فعلـت و يـصرخُ و يصيـحُ كالمجنـون ، لحظـاتِ لمْ اسـتفق منهـا إلا عـلى وجـود قـواتِ الشرطـة

مـرَتَ السـاعات و جـاء التحقيـق ، اقتـصرتُ عـلى ذاتى كل الأمـور ، و اعترفـتُ آننـى آخـذتُ السـلاح المـيرى و قتلتهـا ، حُولِـتُ بعدهـا لسـجنِ الـوادى و أُقيمـتُ فى قسـم جرائـم النفـس وهـو بالمُناسـبة الأبشـع فى السـجن ..

شـعوراً بالحـيرةُ ينتابَنـى وأفـكارُ مؤلمـة تأتينـى ، أيـنَ ذهبـتُ بنفـسى و الى ايْـنَ سـأنتهى ، كَـمْ آن الحيـاةُ قـدْ تكـونُ قصـيرة لِامثـالى اللذيـنَ يقضـونَ حياتِهِـم آسرىَ لأمراضِهُـمْ ، الحيـاةُ خـارجِ الأسـوار لا تختلـفُ كثـيراً عنهـا داخـل الأسـوار فأنـا فى الاسـاس سـجين وسـأظل هكـذا الى تنتهـى آيامـى فى الحيـاةُ ..

شـفت ان الدنيـا ممكـن توصلـك لحجـات انـت مكنتـش تتخيـل انـك تعملهـا ، شـفت ان اغلـب الحجـات الـلى عملناهـا مكنتـش بأدينـا ، فهمـت ! ، مواقـف بسـيطة ، مشـوار صغـير ، حـبُ ، جـواز ، كلمـة, صديـق ، كلهـا حجـات ممكـن تغـير مجـرىَ حياتـك كلهـا سـواء للأسـوء أو للاحسـن و احيانـاً كتـير بتوصـل للأتنـين ، قـول عـن زى مـا تحـب و زى مـا يصولـك عقلـك ، كل كلامـك ملـوش عنـدى أي قيمـة عشـان أنـا عـارف و متأكـد انـك لـو مـكاني كُنْـتُ هتعمـل نفـس الـلي أنـا عملتـه, هتقـولى ضيعـت نفسـك و مكنـش لازم ترتكـب جريمـة هقولـك متنسـاش انى مريـض نفـسى و فى لحظـة زى دى ممكـن اعمـل أي حاجـة تيجـي في دماغـى وانـا مجـاش فى دماقـى غـير انى اقتلهـا .. فى الأول وانـا بكتـب المذكـرات مكنتـش عـارف مـين هيقرأهـا بـس كنـت حريـص جـداً انـه يكملهـا للاخـر حتـى لـو بالنسـباله مذكـرات واحـد مجنـون ، مكنتـش عـارف هـتروح لمـين بالظبـط و مـين هيتكلـم عنهـا ، كانـت ممكـن تتحـرق أو تترمـي ولا حـد يحـس بيهـا ، فى

نـاس بيحبـه القصـص الـلى مـن النـوع ده وكانـوا ممكـن يظبطوهـا بطريقـة أكـتر اثـارة و درامـة و تتحـول لروايـة أو لفيلـم ، لكـن لمـا جيـت المـكان ده و فى الظـروف دى ، بقيـت عـارف كويـس مـين الـلى هيقرأهـا و هيحتفـظ بيهـا ، اَسـف عـلى الاطالـة ..
دكتـور حسـن عبدالعزيـز .. اتمنـىَ لَـكَ أوْقـاتٍ سـعيدةٌ و حيـاةٌ مليئـةٌ بالنجـاخِ دائِمـاً .....

اه أنـا قتلتهـا بـس هـى لسـة عايشـة جوايـا مـش هتمـوت غـير لمـا أنـا امـوت ..

****

مريم انتي جيتى يا حبيبتى !
متزعليش مني أنا بحبك .